ظِلالٌ مِنَ الذَّاكِرَة

ح داربسطة حسن للنشر والتوزيع، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصفار، حسن بن موسى بن رضي

ظلال من الذاكرة. / حسن بن موسى بن رضي الصفار .-

القطيف، ١٤٤٣هـ

١٩٢ ص؛ ١٧*٢٤ سم

ردمك: ٥-٠٤٥٧-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١-السيرة الذاتية أ.العنوان

ديوي ٩٢٠ ١٤٤٣/٧٥٠٨

ظلال من الذاكرة

الطبعة الأولى 2022م

حقوق الطبع والنشر محفوظة:

© بسطة حسن للنشر والتوزيع

بسطة حسن
للنشر والتوزيع

للتواصل:

@hasan_hamadah

+966 505846150

الإخراج الطباعي:

محمد آل حريز

+966 590068362

ظلال من الذاكرة

حسن موسى الصفار

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الفهرست

مُقَدمَة..... 9

مِن ذِكْرَيَات الطُّفولة..... 11

تأثيرات الوالد..... 14

في المدرسة الابتدائية 16

المدرسة المتوسطة 17

اَلشَّامِيَّ اَلصَّغِير..... 19

الارتقاء إلى عالم الكتاب 22

الانْدماج فِي الوسط الدِّينيِّ 27

الشيخ علي المرهون (1334هـ - 1431هـ)..... 33

الشيخ فرج العمران: (1321هـ - 1398هـ) 35

الشيخ عبدالحميد الخطي (1331هـ 1422-هـ) 51

مجلس الملا علي الطويل (1337 ـ 1434هـ) 54

الانكماش والرّكود في الحالة الدّينيّة 59
علماء وخطباء من العراق 65
رِحلاتي إلى الأحساء 71
دراسة النحو عند الشيخ أحمد إبراهيم آل أبي علي ... 74
الهجرة لِلنّجف الأشرف 81
الأجواء الروحانية 88
مُرورًا بِالكويت 89
زيارة طهران وتبريز 92
زيارة العلويين في سوريا ولبنان 92
الميرزا حسن الحائري (1318هـ ـ 1421هـ) 95
السيد الشيرازي (1347هـ - 1422هـ) 99
الشيخ علي الكوراني 102
الهجرة إلى قُم المقدّسة 105
السيد شريعتمداري (1905 - 1986م) 107
الدراسة في قم 110
الأجواء الثقافية والاجتماعية 113
أبو الحسن الندوي في قم 123
مَدرَسة الرّسول الأعظم في الكُويت 129
الدرس القرآني 134

الدروس العلمية 137
التثقيف والتربية الأخلاقية 140
بدايتي مع الكتابة والتأليف 142
النشاط الاجتماعي 144

مِنْ أَسَاتِذَتِي 147

السيد علي السيد ناصر السلمان 148
السيد محمد رضا الشيرازي (1959 – 2008م) 149
الشيخ مصطفى الهرندي والسيد أحمد المددي 151

مَسقَط: تجرُبَتي الأُولى فِي العمل الاجتماعي 153

مُحاولات فِي نَظم الشِّعر 167

يا حسين الخلود 168
تأبين المرجع الديني السيد محمود الشاهرودي 170
موسوعة دلائل الأحكام 175
يا حياة الزهراء أنت كتاب 179
شباب بغير قضية 182
وأتت ذكرى الشهيد 183
أنموذج من معالجة الفقر 185
مرت الأربعون والخطّ ثكلى 187
يا سليل المجد 192

مُقَدمَة

حينما يكتب أيّ إنسان سيرته الذاتية فسيرى نفسه هو البطل في قصة حياته، وهذا هو الأمر الطبيعي، فهو في سيرته الذاتية ليس بصدد الكتابة عن تاريخ العالم، ولا تاريخ المجتمع، ولا عن حياة الآخرين، إلا بمقدار ما يرتبط بشخصه وسيرته.

لذلك يبدو وكأن الكاتب يرى نفسه محور التاريخ، ومركز العالم، لكنه بالتأكيد لا يقصد ذلك، وإنما هو محور تاريخ نفسه ومركز عالم حياته، وهذا هو الواقع بالنسبة لكل إنسان.

ولأن السيرة الذاتية يكتبها الإنسان في مرحلة

متأخرة من حياته، فسيكون معتمداً على ما تسعفه به ذاكرته، وغالباً ما لا تكون صور الأحداث والوقائع في الذاكرة دقيقة عالية الجودة والنقاء على حدّ تعبير الفوتوغرافيين.

ومن الطبيعي أن يكون لتصورات الإنسان وآرائه ومواقفه الحاضرة تأثير على ما يكتب من سيرته الذاتية مقصوداً أو غير مقصود، مباشراً أو غير مباشر.

فمهما حاول الإنسان الموضوعية والحياد، إلا أنه لا يستطيع الانسلاخ عن طبيعته البشرية، وانحيازه لذاته بدرجات متفاوتة من شخص لآخر.

أرجو أن تكون هذه المقدمة بمثابة اعتذار للقارئ الكريم الذي يطلع على هذه الصور فهي ظلالٌ من الذاكرة.

{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا}.

حسن موسى الصفار

٥ ذوالقعدة ١٤٤١هـ

٢٦ حزيران ٢٠٢٠م

عام 1384هـ

مِن ذِكْرَيَات الطُّفولة

لا زالت ترتسم في مخيلتي صورة البيت الذي بدأت فيه طفولتي، إنه بيت صغير لا أظنه يتجاوز الستين مترًا، يقع في ظهر الجدار الشمالي لحيّ (الدبّابيّة) والاسم المتداول للحي (الدبيبية) في مدينة القطيف، إلى الغرب من بوابة الحيّ الشمالية، وموقع هذه البوابة الآن على شارع بدر، وحي الدبّابيّة كان يحيط به سور، له بوابة من كل جهة من الجهات الأربع، تسمى (دروازة).

والبيت الذي كنا نسكنه وقف لسيدة من آل إسماعيل، استأجره الوالد وقام بترميمه وإصلاحه، ويضم غرفتين وساحة صغيرة، ودرجًا

إلى السطح، حيث أشاد الوالد غرفة إضافية على السطح، بسقف متواضع من الخشب، يقال له (جملون) أي كهيئة سنام الجمل، وفوقه بارية تغطيه لتمنع نفوذ المطر والهواء.

أما مطبخ البيت فكانت أدواته البسيطة تحت الدرج الصاعد للسطح، وأعمال الطبخ تتم في ساحة الدار، وأرضية البيت لم تكن ممسوحة بل أرض عادية، والسقف من جذوع النخل كما هو الشائع آنذاك.

لم تكن في البيت كهرباء؛ لأنها لم تصل للمنطقة بعد، فكانت الإضاءة ليلاً بالفانوس والتريك.

ولم يكن في البيت ماء، بل كان يُؤتى بالماء في أوعية للاستخدام من خارج المنزل، وأذكر أن الوالدة رحمها الله، تذهب كل صباح إلى عين ماء في الزاوية الجنوبية الشرقية من الحيّ، لتغسل فيها أواني البيت والملابس، وتعود بوعاء أو وعاءين مملوءين بالماء للشرب واستخدامات الطبخ والغسيل، تحملهما على رأسها، كما هو حال سائر النساء اللاتي لا يتوفر الماء في بيوتهن.

كانت تعيش معنا في المنزل جدتي أم والدي المرحومة زهراء بنت الحاج أحمد بن قاسم الحجاج (توفيت بتاريخ ١٤٠٠/١/٤هـ). كانت تسكن إحدى غرفتي البيت ومعها يسكن الأبناء الكبار، بينما يسكن الأطفال الصغار في الغرفة الثانية مع الوالدين.

كنا أربعة إخوة: أخي الكبير عبدالكريم (١١ رجب ١٣٦٨هـ) وأختي طيبة (٢ ذوالحجة ١٣٧٠هـ)وأنا (٢٢ ربيع الثاني ١٣٧٧هـ)وأختي الأصغر مني ميمونة (١٠ صفر ١٣٧٨هـ)، أما أخي محمد (١٦ ربيع الثاني ١٣٨٥هـ) فقد ولد في البيت الثاني الذي انتقلنا إليه فيما بعد خارج حيّ الدبّابيّة.

بالقرب من بيتنا يقع المسجد الكبير للحيّ ويسمى مسجد (المزار) الذي كان يؤم صلاة الجماعة فيه الشيخ علي الشيخ منصور المرهون، وكان يفصل بيت الشيخ عن بيتنا منزل واحد فقط، فكان والدي يأخذني معه بعض الأيام للمسجد ولمجلس الشيخ.

وأتذكر أن والدي كان يقرأ نسخة الوفاة في أيام وفيات الأئمة ﷺ في عدد من مجالس الحيّ، وقد كتب بيده نسخة من كتب الوفيات التي كان يُتداول قراءتها، حيث لم تكن تتوفر نسخ مطبوعة آنذاك.

وكنت أذهب مع والدي إلى تلك المجالس، وأجلس للاستماع، حيث يقرأ الوالد نسخة الوفاة لمدة نصف ساعة تقريباً، قبل مجيء الخطيب واعتلائه المنبر، ولم يكن هناك فرق كبير بين ما يحكيه الخطيب من سيرة الإمام وما يُقرأ في نسخة الوفاة، لكن الخطيب يقوم بدور النعي وقراءة الأشعار باللغة الفصيحة (القريض) وباللهجة الشعبية (النبطي) كما يطلقون عليه.

وأذكر من الخطباء الذين كنت أحضر مجالسهم آنذاك مع والدي الشيخ علي المرهون في حسينية الحداد، والملا باقر المدن في مجلس السيد جعفر السماعيل، والملا حبيب المقابي في مجالس أخرى.

جدي لأمي الملا محمد آل سيف

(1312هـ - 1394هـ)

في الثالثة أو الرابعة من عمري، انتقل سكننا إلى منزل جديد خارج حيّ (الدبّابيّة) وقريبًا منها في منطقة يطلق عليها (الدوبج) حيث اشترى الوالد قطعة أرض تبلغ مساحتها حوالي ٣٠٠ مترًا، ويتكون المنزل الجديد من أربع غرف إحداها مجلس للضيوف وساحة للبيت وسطها. وفيما بعد تم إعداد غرفة خامسة فوق سطح المنزل بسقف (جملون) أصبحت مكتبة ومجلسًا خاصًا بي.

وكانت والدتي زهراء بنت الملا محمد بن الشيخ عبدالله بن الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ حسين آل سيف، ولدت في عام ١٣٤٥هـ وتوفيت في ١٤١٤/٩/١٩هـ رحمها الله مهتمة بتحسين الدخل الاقتصادي للعائلة، ودعم الوالد في أداء ديون بناء المنزل الجديد وتأثيثه، لذلك اتخذت من إحدى غرف البيت متجرًا لبيع المواد الغذائية والاحتياجات المنزلية، ولم تكن في ذلك الحي الجديد بقالات، فكنّ نساء الحي وأولادهن في البيوت المجاورة يأتون لشراء حاجاتهم من بيتنا.

وفي كل مساء تجلس الوالدة مع الوالد لجرد حسابات البيع والديون، فأغلب النساء لم يكنّ يدفعن نقدًا، ولم تكن الوالدة تحسن القراءة والكتابة، فخصص الوالد دفتراً كبيراً لكتابة الحسابات بشكل يومي، وكان الوالد هو الذي يشتري البضائع من السوق حسب طلب الوالدة.

وقد شجعتني الوالدة أن أقوم ببيع الحلويات على الأطفال خارج المنزل، وأمام بعض المجالس النسائية في الحيّ، وبالفعل كانت تهيئ لي كرتونًا يحتوي على علب البسكويتات والحلويات والعلكات، وفي أيام الصيف تصنع مثلجات وتضعها في حافظة صغيرة، وأجلس بها عصر كل يوم وفي صباح أيام العطل المدرسية، ويأتي الأطفال للشراء منها، وأعطي حاصل البيع للوالدة، وكنت آنذاك في الصفوف الأولى للمرحلة الابتدائية.

تأثيرات الوالد

في صغري ارتبطت بوالدي كثيراً، ففي كل مساء كان الوالد بعد تناول العشاء يتمشى بي على سطح المنزل، وخاصة في ليالي الصيف حيث كان العشاء والنوم على السطح، وكان السطح مفتوحًا في وسطه على ساحة البيت ويسمى (شمسية)، وكان يدور بي حول سورها، ويقرأ عليَّ الأشعار التي كان ينظمها حول أهل البيت عليهم السلام وخاصة عن شهداء كربلاء، حيث نظم ملحمة عن علي الأكبر، وأخرى عن القاسم بن الحسن عليهما السلام، وثالثة عن مسلم بن عقيل، ورابعة عن العباس بن علي، وملحمة مطولة عن مصرع الحسين عليه السلام تبلغ أكثر من ٢٠٠ بيت، وكلها من الشعر النبطي الشعبي، وبعضها يصلح لمواكب العزاء واللطم، فكان يقرؤها عليَّ بالتلحين المناسب لها، وأنا أرددها خلفه، حتى حفظت كل تلك المقطوعات والملاحم من نظمه، إضافة إلى قصائد أخرى من الشعر العربي الفصيح للسيد جعفر الحلي والسيد حيدر الحلي، والشيخ صالح الكواز، والشيخ حسن الدمستاني.

الوالد الأديب الحاج موسى بن الشيخ رضي الصفار، عام 1398هـ

وقد رسخت قصائد والدي في ذاكرتي، وحينما بدأت الخطابة

الحسينية كانت رصيداً وزاداً لي عند ذكر المصيبة والعزاء، وكانت تلفت نظر المستمعين لطولها واستيعابها لتفاصيل وقائع السيرة، بحيث لا حاجة لسرد الأحداث نثريًا، ولأنها مليئة بالصور الوجدانية والعاطفية المؤثرة، وكانت جديدة على الأسماع تختلف عما يتداوله الخطباء من الفائزيات (شعر الملا علي بن فايز)، والنصاريات (منظومة الشيخ محمد بن نصار) والجمرات (ديوان الملا عطية الجمري) وقد وفقني الله تعالى لجمع منظومات الوالد وطبعها في حياته سنة ١٤٢٢هـ، تحت عنوان (من فيض الولاء)، ورغم أنه كان يمتنع في البداية عن القبول بطبعها ونشرها، لكنه بعد طباعة الديوان كان مسرورًا وسعيدًا بذلك.

من جانب آخر كان الوالد يأخذني معه في ذهابه للمسجد وللمجالس الحسينية، وكذلك في زياراته للعلماء والخطباء والشخصيات الاجتماعية ولمجالس أصدقائه. فألِفتُ تلك الأجواء من صغري، وأصبحت منشدًّا إليها. تعرفت مبكرًا على كثير من الشخصيات في المجتمع وعلى نمط أحاديثهم وأعراف وتقاليد علاقاتهم.

كان ذلك على حساب علاقتي مع أقراني في السنّ، حيث لم أستمتع بلعب الطفولة ولهوها إلا في بداية طفولتي وبشكل محدود، حتى إني في صفوف المدرسة الابتدائية لم أكن أشارك في حصة الرياضة، وكان الأستاذ يعفيني عن المشاركة، ويطلقون عليَّ (مطوّع). وبعد كبري وإطلاعي على الكتب التربوية التي تتحدث عن مرحلة الطفولة ودور اللعب في حياة الأطفال، كان يراودني نوع من الشعور بأني ربما ظلمت نفسي على هذا الصعيد. لكن الأجواء التي عشتها، والتوجهات التي انغرست في نفسي، أوجدت لديَّ عزوفًا طبيعيًا عن أقران الطفولة ولهوها، دون فرض من أحد.

أشعر بالفعل بأنني لم أمارس اللعب بالمقدار الكافي في مرحلة الطفولة كبقية أقراني، وهذا التقولب في هذه المرحلة المبكرة حرمني من الاسترسال في مرحلة الطفولة، لكني أشعر بامتلاك حصيلة من التجارب في مجال العمل الديني والاجتماعي لبدايتي المبكرة.

في المدرسة الابتدائية

تعلمت قراءة القرآن الكريم في (كتّاب) لسيدة في الحيّ (الدبّابيّة) كانت تستقبل أطفال الحيّ بنين وبنات في ساحة منزلها، وتعلمهم قراءة القرآن الكريم، في مقابل هدية مالية متواضعة يقدمها أهل كل طفل للسيدة المعلمة رحمها الله.

وفي نهاية السنة السادسة من عمري سجلني والدي في مدرسة زين العابدين الابتدائية، بالقرب من حيّ (الدبّابيّة) بعد أن انتقلنا إلى منزلنا الجديد في حيّ (الدوبج).

وتخرجت من المرحلة الابتدائية بصفوفها الستة سنة ١٣٨٨ـ ١٣٨٩هـ حيث التحقت بمدرسة الأمين المتوسطة، وكانت بعيدة نسبياً عن بيتنا، وكنت أذهب إليها وأعود منها ماشيًا.

وكنت أعتمد على نفسي في مذاكرة الموادّ الدراسية، فوالدتي لم تكن متعلمة، ووالدي كان منشغلاً، ولم أشعر بالحاجة إلى المساعدة، لم أكن متفوقًا في دراستي فدرجاتي في معظم الموادّ في مستوى جيد جدًا، لكني لم أرسب في أي سنة، ولا احتجت إلى إعادة الامتحان في الدور الثاني في أي مادة دراسية طيلة سنوات دراستي.

كان تعامل الإدارة والمعلمين صارمًا وشديدًا مع الطلاب في المرحلة الابتدائية، فلا مجال للغياب ولا التأخير عن بداية الطابور في الصباح، وغالبًا ما يتعرض الطالب للضرب بالعصا عقابًا لتقصيره في أداء الواجب المدرسي، أو قيامه بأيّ تصرف خطأ، وقد يحكم عليه المعلم بالوقوف خارج الفصل في الشمس أو البرد طول وقت الحصة أو جزء منه، وقد يُعاقب كل طلاب الصف عقابًا جماعيًا عند حصول خطأ من بعض الطلاب.

ومعظم المدرسين كانوا غير سعوديين من مصر والسودان وفلسطين والأردن، وكان بعضهم يتحدث للطلاب عن بعض الأفكار والأوضاع في بلدانهم، وكنا كطلاب ننشدُّ لذلك الحديث؛ لأنه يكسر أجواء الروتين الدراسي، ويطلعنا على معلومات جديدة عن بيئات أخرى.

وحينما بدأت أتقمص شخصية الخطيب الديني من مرحلة الصف

الخامس ابتدائي، كان المعلمون والطلاب يبدون لي شيئًا من الاحترام، ويعفوني من المشاركة في حصة الرياضة، حتى إن مدير المدرسة الابتدائية الأستاذ سعد الرحيل (من قبيلة بني خالد القاطنين في قرية عنك بمحافظة القطيف) وافق على إعطائي إجازة لأسبوعين لأسافر للقراءة في الأحساء لعشرة المحرم عام ١٣٨٨هـ، حين كنت في الصف السادس ابتدائي، بل وافق على إعطاء الإجازة لطالب آخر زميل لي ليرافقني في سفري، هو الأخ العزيز علي بن عبدالله بن كرم (أبو عارف) وهو الآن أحد الناشطين في المجال الاجتماعي حفظه الله.

المدرسة المتوسطة

مع زملائي بالمرحلة المتوسطة عام 1390هـ.

وفي المرحلة المتوسطة كانت لي مشاركة شبه يومية في الإذاعة المدرسية أثناء طابور الصباح، كما أشرفت على مسابقة لصحف الحائط التي تصدرها الفصول الدراسية، وقد فازت بالمرتبة الأولى صحيفة عنوانها (رائد) فنظمت أبياتًا بهذه المناسبة ضمنتها أسماء تلك الصحف ألقيتها عبر الإذاعة المدرسية، أتذكر منها الأبيات التالية:

تسـابقت الفصـول عـلى الجرائـد

فـكان الـكل مشـغول السـواعد

وظـل الـكل يجـري في سـباق
ويرجـو أن يفـوز لـدى الفرائـد
فمـن (فتـح) و (إشـراق) تجلّـت
ومـن صـوت ينـادي قـم فجاهـد
و(عاصفـة) تمـادت في (ضيـاءٍ)
لتحمـي قدسـنا مـن كل مـارد
وكل جريـدة فيهـا جمـال
وإبـداع ففـاز الـكل (رائـد)

تداول الطلاب المقطوعة التي تربو على عشرة أبيات خارج المدرسة، وتركت صدىً واستحسانًا، فكتب لي بهذه المناسبة الأديب الراحل الأستاذ وجدي المحروس قصيدة تقارب العشرين بيتًا، أذكر منها:

عـن الطـلاب أشـكر ذا المجاهـد
وأسـأله المزيـد مـن القصائـد

ويقول فيها:

ولسـت بمنكـر مـا أنـت فيـه
مـن الآداب أو نظـم الفرائـد
فجـدك كان قبـلاً بحـر علـمٍ
ومصباحًـا تضـيء بـه المسـاجد
حليفًـا للتقـى أعنـي رضيًـا
مجالـس علمـه كانـت موائـد

كانت مدرسة (الأمين المتوسطة) بيتًا مستأجرًا، وعدد الطلاب كان محدودًا، ومعظمهم كانوا طلابًا جادّين في دراستهم، فكانت أجواء الدراسة فيها شيّقة هادئة.

مع الوالد في عمر 9 سنوات
1386/11/27هـ.

اَلشَّامِيَّ اَلصَّغِير

حضوري المكثف مع والدي في مجالس الخطابة الحسينية غرس في نفسي حب ممارسة الخطابة، ولأن مشاهد السيرة الحسينية ومداخل طرحها من المواضيع والقصائد والأشعار التي يذكرها الخطباء، أسمعها مكررًا في المواسم والمناسبات الدينية، فقد حفظت كثيراً منها عن ظهر قلب، إضافة إلى ما كان أبي يلقنني من أشعاره وقصائده، لذلك وجدت نفسي مندفعاً لتقمص دور الخطيب، فبعد عودتي إلى المنزل من استماع أي خطيب، أمثل دوره أمام والدتي وجدتي رحمهما الله.

وطلبت من أبي أن يهيئ لي منبراً في ساحة البيت، قام بصنعه من بعض الأخشاب، وحتى وضعت لي ما يشبه لاقطة مكبّر الصوت، وصرت أعتلي المنبر كلما استذكرت شيئاً مما أسمعه من الخطباء، ورغم أن أبي وأمي وجدتي كانوا يشجعوني إلا أنهم قد يبدون انزعاجهم أحياناً حين تتكرر قراءاتي على حساب أوقات راحتهم.

ثم بدأت أدعوا الأطفال من أبناء الجيران ليستمعوا إليَّ، وشجعتهم على تأسيس مأتم للأطفال يتقاسمون مسؤولية إدارته، وبحثنا عن مسجد يكون مكاناً لهذا المأتم، وبالفعل وجدنا مسجداً صغيراً قريباً من الحيّ يسمى مسجد (الدالية) ثم انتقل المجلس إلى مسجد آخر، في الحيّ المجاور حيّ (ميّاس) وهو مسجد تديره أسرة اليوشع حيث وافق مسؤول المسجد لنا بإقامة مجلس للأطفال فيه، ولم يكن في المسجد أي برنامج آخر إلا حضور أفراد من المصلين وقت الصلاة.

فكان هذا المجلس نقطة تحول في مشوار ممارستي للخطابة، وفي بعض الأحيان كانت تحصل مشاكل من بعض الأطفال بحكم طبيعة مرحلتهم العمرية، لكن المجلس استمر في المناسبات وكبرنامج أسبوعي، وصار بعض الكبار يحضرون للاستماع، وهكذا انتشر الخبر أن طفلاً صغيراً يقرأ، فكان البعض يحضر استجابة لأصداء الخبر.

وإعجاباً بهذه الظاهرة وتشجيعاً لها صاروا يدعونني للقراءة والخطابة في بعض الحسينيات والمساجد والبيوت في الأحياء الأخرى، كحيّ (الشريعة) و(الكويكب) ثم إلى قرى ومدن أخرى في القطيف كالتوبي والبحاري والخويلدية والقديح والعوامية والجش وأم الحمام وتاروت وسيهات وصفوى.

وكانت الدعوات تأتيني من كبار شخصيات المناطق المختلفة، وذلك لتشجيعي وإظهار الإعجاب بجرأتي على الخطابة والإلقاء في ذلك السنّ، حيث كنت في الحادية عشرة والثانية عشرة من العمر، أي في الصف الخامس والسادس الابتدائي، ولعلها أول ظاهرة من نوعها في مجتمع القطيف، ثم تكررت فيما بعد لآخرين بدأوا الخطابة في سنّ مبكر من حياتهم.

ففي سيهات مثلاً دعيت للقراءة في مجلس الوجيه الحاج عبدالله المطوع، وبواسطة الخطيب المعروف الملا عبدالمحسن النصر الذي جاء إلى والدي طالباً منه الموافقة على أن يأخذني للقراءة في مجلس المطوع، وقد وافق الوالد بعد ترددٍ خوفاً وإشفاقاً عليَّ، لكن الملا عبدالمحسن النصر طمأنه بأنه سيرافقني ويرعاني.

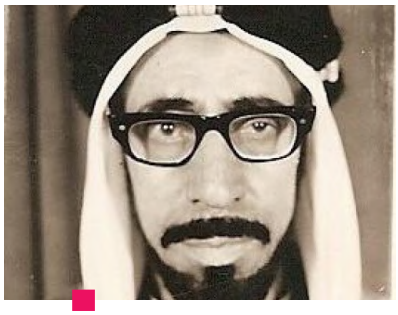

الملا عبدالمحسن النصر

مواليد سيهات (1327هـ - 1411هـ).

ولا أزال أتذكر مشهداً يرتسم في مخيلتي من تلك المرحلة، حيث دعيت للقراءة في سيهات صباح يوم جمعة، وكان الجمع حاشداً في حسينية أسرة النصر المعروفة بسيهات، ورأيت في صدر الحسينية شيخاً وقوراً مهيباً يتزاحم الناس على مصافحته، ولثم أنامله وتقبيل غرّته، وأخبروني أنه الشيخ محمد أمين زين الدين الفقيه الكبير، الذي كان في زيارة لسيهات تلك الأيام، ولا أدري كيف امتلكت الجرأة للقراءة في محضره، دون أيّ تهيب أو تردد، لعل ذلك لعدم معرفتي وإدراكي لمكانته وقيمته العلمية العالية، أو لما أراده الله لي من سلوك طريق الخدمة الدينية، فهيأ لي الأسباب النفسية والاجتماعية المساعدة تفضلاً منه ولطفاً.

الملا عبدالعظيم المرهون

(1346هـ - 1424/1/13 هـ).

ومن بلدة أم الحمام جاء أستاذ الخطباء فيها الملا عبدالعظيم المرهون يطلب من والدي أن أقرأ ليلة في مجلسه، حيث هيأ ساحة واسعة في مزرعة اكتظت الشوارع حولها بالحضور من شتى طبقات أهالي البلدة، محتفين بخطيب صغير في السن.

وهكذا في مناطق أخرى كالعوامية التي دعاني للقراءة فيها الوجيه الحاج عبدالقادر بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر أبو المكارم في حسينية آل الشيخ الرئيسة، فكانت ليلة مشهودة من حيث احتشاد الناس وتفاعلهم.

الحاج عبدالقادر بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر أبو المكارم

كان والدي داعمًا ومشجعًا لانطلاقي في ميدان الخطابه، وكان مسرورًا يبدي الشكر لله دائمًا على نجاحي وتوفيقي في هذا المجال، لكن والدتي كانت تشعر بالقلق عليّ من أن تصيبني عيون الحاسدين، حيث تسود في المجتمع خاصة في الوسط النسائي مشاعر الخوف من الحسد على ابنائهن وبناتهن، ويفسرن أي مشكلةٍ تحصل للولد في دراسته وعمله وصحته، أو للبنت في حياتها الزوجية بأن ذلك نتيجة لحسدٍ من أحدٍ ما.

كانت والدتي تعاتب والدي بأنه يعرضني للحسد فيجيبها بأن الله سيحميه ببركة الحسين عليه السلام.

وبسبب هذا الإقبال الجماهيري الملفت للنظر، صار الناس يطلقون عليَّ اسم (الشامي الصغير) استحضاراً لمستوى الحضور والحشود التي كانت تميّز مجالس الخطيب العراقي الكربلائي السيد حسين بن السيد هادي الشامي، الذي استضافته القطيف في موسم المحرم ١٣٨٦هـ وما بعدها.

وقد كتب الشيخ فرج العمران في مذكراته (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية) وصفاً للإقبال الجماهيري على مجالس السيد حسين الشامي، في الجزء (١١) ص٣٣ ومما جاء فيه: (لقد قوبلت قراءته - السيد حسين الشامي - باستحسان منقطع النظير، وإعجاب وإكبار فكان محل خطابته يغصّ بالجماعات، ويكتظ بالجماهير، يحضره الألوف بل المئات من شتى الطبقات من الشيعة والسنة، فتمتلئ الأمكنة والطرق والشوارع والنوافذ والسطوح، حتى إن الشرطة كانت تمنع السيارات رسمياً من المرور في الشارع القريب من محل خطابته).

الارتقاء إلى عالم الكتاب

أشرتُ إلى أني انطلقت في خطابتي من خلال مسموعاتي وما أحفظه من أحاديث الخطباء الذين أحضر مجالسهم، فكان ذلك هو رصيدي، وكان متعارفاً أن تكون بداية أي خطيب جديد من خلال تتلمذه على خطيب سابق أو أكثر من خطيب، بحيث يملي عليه بعض القصائد والأشعار فيحفظها،

ثم يرافق الخطيب الأستاذ إلى مجالس قراءته ليقرأ قبله قصيدة فصيحة وأخرى باللغة الدارجة، ويطلق عليه (صانع) وقراءته قبل الخطيب تسمى (مقدمة). وبعد مدة من التمرس قد يصبح خطيباً مستقلاً يطلق عليه (ملّا) وإذا انتمى إلى سلك طلبة العلوم الدينية وقطع شوطاً دراسياً يطلق عليه (شيخ).

لكني لم أمر بهذه المرحلة من التلمذة المباشرة، فلم أرتبط بخطيب لأقرأ مقدمة له، بل كنت أختزن ما أسمع، وحين بدأت الخطابة كنت أمارس دور الخطيب كاملاً بقراءة الشعر ثم طرح موضوع ثم الانتهاء بذكر التعزية والنعي.

وإذا كنت قد استفدت مما كنت أسمعه من عدد من الخطباء، فإن أكثر من استفدت منه وتأثرت به أول ما بدأت الخطابة هو الخطيب الشيخ عبدالحميد بن الشيخ منصور المرهون، فقد كنت أُكثر من حضور مجالس قراءته في القطيف، وفي مناسبات وفيات الأئمة كان يقرأ في يوم الوفاة أربعةً أو خمسةَ مجالس في القطيف من بداية الصباح إلى الظهر، وكنت أتبعه للاستماع إلى كل مجالسه، وكذلك أيام عاشوراء أستمعه في ثلاثة مجالس يومياً.

وكنت أرتاح لقراءته وأنجذب إليها، وخاصة في سرده لتاريخ حياة الأئمة وسيرهم، بأسلوب سلس واضح، ويستخدم كثيراً من الكلمات الشعبية، والإثارات الوجدانية، ويعرض الأحداث والقصص التاريخية بطريقة شيّقة، وكان مبدعاً في أساليب التخلّص والانتقال من الموضوع الوعظي أو التاريخي الذي يطرحه إلى التعزية والمصيبة.

وعادة ما كنت أحفظ موضوع خطابته بنسبة تزيد على ٦٠٪، وأحاكي أسلوبه وطريقة حديثه، ولما سمع عني وطلب بعض التسجيلات من خطابتي، ولم يكن يعرفني شخصياً لأني كنت أحضر لاستماعه ضمن جمهور المستمعين، أبدى سروره وارتياحه ورغبته في اللقاء بي، وأتذكر أني قمت بأول زيارة له بصحبة الحاج صقر عبدالعال (رحمه الله)، وهو من شخصيات بلدة أم الحمام، وكان الشيخ يستقبل المهنئين بعودته

من الحج، فقابلني بترحاب شديد واحترام كبير، وشجعني كثيراً وأبدى استعداده لأي عون أو مساعدة في مجال الخطابة.

وبعد أن تعددت مجالس خطابتي، وقلّت فرص استماعي للخطباء، شعرت بالحاجة إلى الاعتماد على نفسي في تحصيل وإعداد المواضيع الخطابية، ولم أكن انفتحت على عالم الكتب، لأعرف مصادر الموضوعات ودواوين الشعر، وهنا بدأت أسأل الخطباء، كالشيخ عبدالحميد المرهون والشيخ سعيد أبو المكارم، والملا عبدالمحسن النصر، فلم يبخلوا بإرشادي للكتب المفيدة في الشعر والسيرة وسائر المواضيع اللازمة للخطابة المنبرية.

وكان للشيخ سعيد أبو المكارم في العوامية مكتبة من أضخم المكتبات الخاصة في القطيف، وكانت له صداقة مع والدي، فكان يزورني ويشجعني على اقتناء الكتب ومطالعتها، وفتح أمامي أبواب مكتبته، فكنت أذهب إليه في كثير من الأيام وأبقى لساعات معه في مكتبته، وشاركت في إعداد فهرست لها، وقد استفدت من علمه وأدبه كثيراً أمده الله بطول العمر ومتعه بالصحة والعافية.

الشيخ سعيد أبو المكارم

العوامية (1356هـ).

وقصدت مكتبة الحاج عبداللطيف الزاير في وسط القطيف، الذي كان يجلب الكتب من العراق ولبنان والبحرين ومصر، وبدأت أتردد عليها

وأشتري بعض الكتب، كما تعرفت على بائع آخر للكتب في بيته وهو الشاعر الحاج أحمد العوّى، وكان يجلب الكتب من العراق فكنت أذهب إلى منزله وخاصة بعد مواسم الزيارات ـ فهو ممن كانوا يذهبون بحملات الزائرين للعتبات المقدسة ـ، لأرى ما جلب من كتب جديدة.

وكان هناك بائع كتب متجول من أهالي العوامية هو الحاج محمد بن عبدالله بن ضيف الزاهر، حيث يمتطي دراجته كل يوم ويزور مختلف العلماء والخطباء والأدباء والمثقفين، في نواحي القطيف وبلداتها ليعرض عليهم ما لديه من كتب جديدة، ويشتري منهم ما يستغنون عنه من الكتب، ويبيعها على آخرين منهم، في عملية تدوير للكتاب، كما كان يقوم بمهمة تجليد الكتب، وكان يزورني بانتظام ليعرض عليَّ ما يستجد لديه من الكتب، وكنت اشتري منه ما أرغب، وكان مسوّقاً جيداً للكتب يخلق الرغبة في نفوس زبائنه لشرائها وتجليد ما ليس مجلداً منها.

وهكذا انفتحت على عالم الكتاب الرحيب، وترسخت قيمته في نفسي، وعشقت القراءة والمطالعة، ووجدت نفسي أمام آفاق جديدة واسعة من الثقافة والمعرفة، تتخطى حدود ما كنت أسمعه من الخطباء سابقاً، فصرت أعتمد على نفسي في التحضير وإعداد موضوعات الخطابة، وأدركت أهمية الاطلاع وتوسيع الأفق الثقافي والمعرفي.

وفي بضعة أشهر تكونت لدي مكتبة، وأصبحت بحاجة إلى مكان يستوعب توسعها، فهيأ لي الوالد غرفة فوق سطح المنزل، تحتوي على دواليب ورفوف للكتب، وحين اشترى الوالد أرضاً جديدة لبناء منزل جديد في حيّ (المسعودية) كانت غرفة المكتبة جزءاً من مخطط البيت، ولأني أتلقى مكافآت مالية من أرباب المجالس مقابل خطابتي، فقد كنت أصرف منها على شراء الكتب، بينما أضع باقي الدخل تحت تصرف الوالد.

بقي أن أشير إلى أن أسعار الكتب كانت مرتفعة، فمعظمها كتب شيعية لا يسمح بدخولها للبلاد آنذاك، فتجلب بالمغامرة والتهريب لذلك تباع بضعف قيمتها أو أكثر.

العراق- النجف الأشرف
1391 هـ

الاندماج
في الوسط الدِّينيّ

دخولي ميدان الخطابة بتلك الصورة الملفتة أتاح لي فرص التعرف على الشخصيات الدينية في المجتمع، والاقتراب منها مع حداثة سني، حيث كانوا يبدون لي التشجيع ويقابلوني بالحفاوة والترحيب، ووجدت في نفسي ميلاً ورغبة في التواصل مع مختلف العلماء والخطباء والمهتمين بالشأن الديني، لأستفيد من معارفهم وتجاربهم، وللتعرف على طبيعة أجواء وتقاليد هذه الطبقة التي أصبحت منتمياً إليها ومحسوباً عليها.

كنت حريصًا على التعرف على أيّ عالم أو خطيب أسمع عنه في محيطي الاجتماعي، حيث أسعى لزيارته، وأقتني كتبه، وأكوّن صورة وتصوراً عنه، ثم أصنع ارتباطاً وتواصلاً معه بالمقدار الممكن.

وما كنت أهتم بالاختلافات القائمة في الوسط الديني، بمعنى أني لم أكن أرتب أثراً عليها فأنحاز إلى هذا الطرف، أو أقاطع الطرف الآخر، وما أسمعه من كلام ضد أيّ جهة لا يمنعني من التواصل معها.

وهنا واجهتني مشكلة كبيرة منذ الأيام الأولى لانفتاحي على الطبقة الدينية ولا زالت قائمة، وهي تحسس بعض الأطراف من انفتاحي وتواصلي مع أطراف أخرى مخالفة لها، وكأنهم يشترطون لاستمرار العلاقة معهم البراءة أو القطيعة مع من يخالفهم، لكني قررت مع نفسي ألا أستجيب لهذه الضغوط ما استطعت إلى ذلك سبيلاً. وسأعود لطرح هذا الموضوع في محطات قادمة إن شاء الله.

وقد لمست أن معظم تلك الخلافات تنطلق من نوازع مصلحية شخصية أو فئوية، وبعضها بسبب اختلاف الآراء والتوجهات، وذلك لا يبرر الخلاف والنزاع. وبعض الخلافات تغذيها الحواشي والاتباع وقد لا تكون بنفس الدرجة في نفوس الأطراف الرئيسة.

وقد لا تكون الرؤية والصورة في ذلك الوقت عندي بهذه الدرجة من الوضوح، لكني من الناحية العملية أخذت هذا المسار.

وأشعر بأني استفدت كثيراً من تواصلي وعلاقاتي في الوسط الديني، على الصعيد المعرفي والنفسي والاجتماعي، واستفدت من تجارب الآخرين.

وسأتحدث عن بعض الشخصيات الدينية التي استفدت من الانفتاح عليها في تلك المرحلة المبكرة من حياتي ومن نشاطي الديني والاجتماعي.

وقد تطرقت في الصفحات السابقة إلى تأثري على الصعيد الخطابي بأسلوب الشيخ عبدالحميد المرهون، حيث بدأت بإلقاء ما أحفظ من مواضيعه، وبمحاكاة أسلوبه وطريقته، حتى انفتحت على عالم الكتاب

وصرت أعتمد على نفسي في تحضير الموضوعات الخطابية، وأتلمس الطريق لتشكيل شخصيتي الخطابية الخاصة.

وتوثقت علاقتي بالشيخ عبدالحميد المرهون، فصرت أتردد على زيارته في منزله، وفي مكتبه في إدارة جمعية أم الحمام الخيرية، حيث كان من المؤسسين لها، وترأس مجلس إدارتها لسنوات، وغالباً كان يحضر تلك الجلسات الخطيب الأديب الملا راضي المرهون، والخطيب الملا سعود شملاوي، وكلاهما ضمن إدارة الجمعية الخيرية أيضاً، ويحضر بعض الأدباء والوجهاء من أهالي أم الحمام، فتدور في تلك الجلسات أحاديث نافعة مفيدة، وطرائف وظرائف ممتعة.

الشيخ عبدالحميد المرهون

أم الحمام (1348هـ).

ومن الذكريات الجميلة أنه دعاني لمرافقته في رحلة إلى الاحساء، للمشاركة في حفل تأبيني بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاة الخطيب السيد منصور السيد حسن الحاجي، من الخطباء والشخصيات البارزة في قرية التويثير في الاحساء، وله صداقة وعلاقة وثيقة بالشيخ عبدالحميد المرهون، لذلك اهتم بالحضور والمشاركة في أربعينه، وكتب قصيدة تأبينية، ويشاركه في هذه العلاقة الوثيقة بالفقيد السيد منصور الحاجي

كل من ملا راضي المرهون، والملا سعود شملاوي والشيخ ابراهيم الغراش، وهم سيذهبون معه أيضًا للمشاركة معه في المناسبة، فوجدت دعوته لي للمرافقة فرصة طيبة لا ينبغي تفويتها، حين عرفت منهم بعد ان انطلقت بنا السيارة للاحساء، ان كل واحد منهم اعدّ قصيدة تأبينيه ليشارك بها في الحفل، حفزني ذلك لكي انظم قصيدة اثناء السير، ولكن المشكلة انهم يتبادلون الحديث في السيارة، مما يؤثر على تركيزي الذهني في نظم القصيدة. ومع ذلك تمكنت من نظم قصيدة متواضعة من ستة وعشرين بيتًا والقيتها في الحفل، مما اثار اعجاب الشيخ عبدالحميد والجماعة، وبطريقته المميزة في التشجيع، صار يتحدث في اكثر من مجلس عن ما اعتبره قدرة وموهبة، ولازال يذكر هذا الموقف في بعض جلساته حين ازوره حتى في هذه السنوات الاخيرة. وكان تاريخ هذه الرحلة ٢ / ١١ / ١٣٩٢هـ، وفيما يلي ما احتفظ به من أبيات تلك القصيدة:

ولتكن سيرة الفقيد مثالًا

قمـر في سـما المعالـي ينيـر
غالـه خسـفه فغـاب النـور
علـم رف في سـما المجـد حينًـا
وهـو اليـوم خامـد مكسـور
وخطيـب فـاق الثريـا علـوًا
وهـو اليـوم في الثـرى مقبـور
عجبًـا كيـف غالبتـه المنايـا
وهـو في النـاس سـيد منصـور

***

فلنعـزي فيمـا المنابـر فهـو
الفـارس الكفـو والخطيـب الجديـر

ولنعـزي فيـه القوافـي فهـو الـ
شـاعر الفحـل والمجيـد القديـر
ولنعـزي فيـه المـكارم جمعًـا
فهـو قطـب اضحـت عليـه تـدور
ولنعـزي ذوي المنابـر فيـه
فلهـم في المصـاب حـظ كبيـر
ولنعـزي فيـه بـلاد التويثيـر
فـذا رزؤهـا جليـل خطيـر
ولنعـزي فيـه الكـرام جميعًـا
فهـو فيهـم مسـود نحريـر

***

ولتكـن سـيرة الفقيـد مثـالًا
لـذوي الوعـظ في الحيـاة ينيـر
ولنكـن في حماسـة ومضـاء
فعلينـا يعـوّل التبشـير
فحسـين مـا ثـار إلا ليبنـي
صـرح مجـد قـد قومتـه النحـور
صـرح مجـد قـد زعزعتـه أُمـيٌّ
فتحداهـم الابـي الغيـور

***

لـم يكـن قصـده البـكاء وحاشـاه
بـل القصـد قبلـه التحريـر

اثمـرت ثـورة الحسـين جهـادًا
صـارع الكفـر والهـدى منصـور
ان هـذي الاعـواد اثـرى ثمـار
ولهـا ثـورة الحسـين تشـير
ولـذا انفـق الفقيـد حيـاة
ملؤهـا الخيـر والكفـاح المريـر

***

هـذه الاربعيـن مـرت ولمـا
ينقضـي حزننـا ولا التأثيـر
زرت قبـر الفقيـد فانهـل دمعـي
وابـى ان يطيعنـي التعبيـر
يـا حبيـب القلـوب يـا مـن إليـه
يقصد الضيف والخطيب الشهير
قصدتـك الضيـوف قـم لتراهـا
وهـي ثـكلى ودمعهـا منثـور
فاجـاب الحبيـب اهـلا ضيوفـي
فلمسـعاكم لنـا التقديـر
فاقصـدوا مجلسـي هنالـك اهلـي
ليـس يبـدو منهـم لكـم تقصيـر
لتـروا مهجتـي محمـد شـهمًا
وعليًـا بـه يُسـرُّ الضميـر
وعقيـلًا فأبلغـوه سـلامي
غالـه اليتـم وهـو بعـد صغيـر

فعليـه صـبّ الآلـه رضـاه
وهـو لا شـك للجنـان يصيـر
وليحـق البـكاء منـا عليـه
فهـو بـدر قـد غيبتـه القبـور

التوثير – الاحساء ١٣٩٢/١١/٢هـ

الشيخ علي المرهون (١٣٣٤هـ - ١٤٣١هـ)

الشيخ علي المرهون
(1334هـ - 1431هـ)

وأشرت فيما سبق إلى أن والدي كان يأخذني معه إلى مجالس بعض العلماء والخطباء، كمجلس الشيخ علي المرهون، في جوار بيتنا، وفي شهر رمضان كان للشيخ علي المرهون مجلس خطابة في حسينية (ميّاس) والقائم على رعاية المجلس الحاج مهدي الأسود من رجال الأعمال والخير في القطيف.

وكان الوالد حريصاً على الحضور في هذا المجلس، فهو ملتزم بقراءة دعاء الافتتاح فيه كل ليلة من ليالي الشهر الكريم، كما هي العادة في هذه المجالس، وكان يأخذني معه لخمس سنوات تقريباً، وبرنامج

خطابة الشيخ كان محدداً، فهو يتناول أحكام الصوم ومسائله في الليالي الأولى، ثم أصول الدين الخمسة (التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد) لخمس ليال، ثم يطرح فروع الدين العشرة (الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج، الخمس، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التولي والتبري والجهاد في سبيل الله) في عشرة مجالس، وفي ليالي المناسبات كمولد الإمام الحسن عليه السلام واستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وليلة القدر، يتحدث عن المناسبة.

وكان طرح الشيخ للمواضيع مبسّطاً سهلاً، تتخلله القصص والمواعظ، وفي طريق العودة إلى البيت بعد المجلس يستذكر الوالد لي بعض ما ذكره الشيخ ليرسخ في ذهني، وبدءاً من السنة الثانية وما بعدها، كان الوالد يسألني في الطريق إلى المجلس عمّا سيتحدث الشيخ هذه الليلة؟ وطبقاً للبرنامج كنت أقول: سيكون الحديث عن النبوة مثلاً أو الزكاة حسب التسلسل، ثم يسألني: هل تذكر الآية التي سيبدأ بها الشيخ؟ أو ما هي القصة التي سيستشهد بها الشيخ؟ وهكذا أصبحت المواضيع راسخة حاضرة في ذهني، وكانت أرضية لمعارفي الدينية الأولية في معرفة العقيدة والفرائض الشرعية.

كما كانت لوالدي صداقة وعلاقة بأبرز خطباء صفوى آنذاك السيد هاشم السيد شرف آل مير (١٣٢٣- ١٣٨٧هـ) فالوالد افتتح محلاً لبيع الأقمشة في صفوى، وكان السيد هاشم يأتي للجلوس مع الوالد في دكانه كل يوم تقريباً، حيث يقضيان ساعة أو أكثر في التحادث، وربما شاركهم الجلسة أصدقاء آخرون، وبعد وفاة السيد هاشم، أخذ ابنه الخطيب السيد عبدالله (أبو شبر) نفس العادة، وفي بعض الأيام كانوا يستثمرون الجلسة في قراءة بعض الكتب.

وكانت للسيد هاشم مجالس قراءة في القطيف في صباح أيام بعض وفيات الأئمة عليهم السلام، ثم يأتي ظهراً في ضيافة الوالد في البيت، فيأمرني الوالد أن أقرأ أمامه مجلس تعزية، فأقرأ بعض ما حفظته مما استمعته ذلك اليوم، فكان يُسرّ بذلك ويشجعني، وبعد وفاته رحمه الله كان نجله الخطيب السيد عبدالله (أبو شبر) يواصل نفس البرنامج، وكان مستواي

في الخطابة يتقدم، فأنال منه الكثير من التوجيه والتشجيع.

وهناك مشايخ وخطباء آخرون تعرفت عليهم من خلال علاقة الوالد بهم، قبل أن أصبح خطيباً، حيث صرت بعد ذلك مستقلاً ومباشراً في علاقاتي مع العلماء والخطباء.

ولا أنسى هنا دور الخطيب الملا عبدالمحسن النصر من سيهات، الذي كان ينظم لي مجالس قراءتي في سيهات، ويزورني في منزلي بالقطيف، ويستقبلني في منزله بسيهات ليرافقني إلى مجالس القراءة، ويرشدني إلى تحضير بعض مواضيع الخطابة وقصائد الشعر.

الشيخ فرج العمران: (١٣٢١هـ - ١٣٩٨هـ)

الشيخ فرج العمران

(1321هـ - 1398هـ)

الشخصية الأولى التي تأثرت بها كثيراً في هذه المرحلة هي شخصية العلامة الشيخ فرج العمران رحمه الله، وكان العالم الأبرز في القطيف من حيث المكانة الاجتماعية والتأثير الديني.

كان اقترابي الشخصي منه محدوداً بحكم صغر سني، لكنني تأثرت بطبيعة شخصيته وبقراءتي لمذكراته (الأزهار الأرجية) كما سأتحدث عن ذلك.

كان للشيخ فرج مجلس مفتوح صباح كل يوم إلى وقت صلاة الظهر، حيث يذهب لصلاة الجماعة في مسجده بحيّ (المدارس) وكان هذا المجلس الذي يضم مكتبته في بيته القديم المقابل لحسينية العوامي بحي (القلعة).

ينشغل الشيخ عادةً بالقراءة والكتابة، فإذا جاءه أحد لمسألة شرعية، أو لإجراء حساب الخمس يتوجه إليه، فإذا انتهى منه عاد إلى قراءته وكتابته، وقبل الظهر بساعة يأتي بعض الفضلاء لزيارته ويتداولون معه

أطراف الحديث، وكنت أرى منهم بشكل متكرر الخطيب الشيخ الميرزا حسين البريكي (١٣٢٦- ١٣٩٦هـ)، والخطيب الملا علي الطويل (١٣٣٧-١٤٣٤هـ) وآخرين يزورون الشيخ في بعض الأحيان والمناسبات.

بدأت التردد على مجلس الشيخ صباح أيام العطل الدراسية لعلها سنة ١٣٨٨هـ، وكنت أبادر لصب القهوة للزائرين، وقد آتي مبكراً في بعض الأيام فأدرك وقت تناوله لطعام الإفطار، حيث يؤتى له من منزله بصحن من العصيد ورغيف خبز وكأس من الحليب، فيدعوني لمشاركته، فأتناول شيئًا من العصيد، وبعض الأحيان كان الشيخ يمازحني بقوله: أكلت فطوري!! وصادف أن سمع الفاضل السيد سعيد بن السيد أحمد الخباز من الشيخ هذه العبارة فصار يذكّرني بها فيما بعد حين يلتقيني من باب المزاح!!

الشيخ ميرزا حسين البريكي

(1326هـ - 1396هـ)

استفدت كثيراً من ترددي على مجلس الشيخ هذا طيلة سنتين أو ثلاث سنوات في معظم أيام العطل المدرسية، حيث كنت أستمع إلى إجاباته على المسائل الدينية من فقهية وغيرها، كما أصغي إلى محادثاته مع الفضلاء كالشيخ ميرزا حسين البريكي، والملا علي الطويل حيث يتداولون معه مسائل لغوية وفقهية، وحول بعض الآيات والأحاديث، وأتذكر أن الشيخ ربما أعاد طرح المسألة في يوم آخر مع من أثارها بعد أن يبحث ويقرأ حول المسالة المطروحة، ثم ينقل من المصادر ما وجد حولها.

كما كنت ألحظ طريقة تعامله مع الناس من عامتهم، أو من أهل العلم والفضل، بمقدار استيعابي آنذاك، فرأيت منه سمة المحبة وطيب القلب والتواضع، وما شعرت يوماً منه بضغينة على أحد، أو سوء ذكر لأحد، بل كان يبدي الاحترام لجميع المراجع والعلماء والطلبة والخطباء والأدباء، وكل من له شان أو خدمة للدين والمجتمع.

وحتى إذا ما أبدى غضبه وانفعاله بسبب تصرف مزعج له، فإنه يبادر بعد لحظات وفي نفس المجلس إلى امتصاص الأثر من نفس الطرف الآخر، حتى لا يخرج من المجلس إلا راضياً.

وقد حصل لي شخصياً موقف نالني فيه شيء من غضب الشيخ

وانفعاله، في مجلسه بمنزل ولده الأستاذ الشيخ حسين في النجف الأشرف، حيث كنت أنتقد طريقة بعض العلماء في سحب يده سريعاً من يدّ من يصافحه منعًا لتقبيل يده، ثم مثّلت هذه الحركة عندما جاء من يصافحني، فضحك الشيخ والحاضرون، لكنني حينما كررت الحركة مرة أخرى اتجه الشيخ إليَّ منفعلاً غاضباً ونهرني أمام الحاضرين، فانكمشت وشعرت بحرج كبير؛ لأنها المرة الأولى التي أتعرض فيها لمثل هذا الموقف. وبعد برهة التفت إليَّ الشيخ مسترضياً مبدياً حرصه على مصلحتي ومستقبلي، وأنه لا يحبّذ لي أيّ تصرف قد يثير إشكالاً في الوسط الحوزوي عليّ، فشكرت له نصحه وتوجيهه.

الأزهار الأرجية:

وإلى جانب ما لاحظته من سيرته العملية، فقد كان كتابه (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية) الذي كان بمثابة مذكراته ويومياته يعكس هذه الصفات الإيجابية التي يتحلى بها.

الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية

وقد تميز الشيخ فرج العمران بتوثيق سيرته وتفاصيل حياته بقلمه، فكتب أولاً مقدمة لمذكراته بعنوان (عبقات الأرج في تاريخ حياة فرج) أو مقدمة الأزهار، تحدث فيها عن نسبه وأعلام أسرته، وترجمة والديه، وتاريخ ولادته، ونشأته وتعلمه القرآن والكتابة، ودون كلّما سمع عن مرحلة طفولته وصغره، إلى انشغاله بالدراسة الدينية في بلده القطيف، حيث تلقى فيها معظم دروسه، مع تراجم أساتذته، وكذلك ما يرتبط بحياته العائلية عن زوجته وأبنائه.

وكتب كتاباً آخر عن رحلته للدراسة في النجف الأشرف بعنوان (الرحلة النجفية) ثم شرع في كتابة كل ما يتجدد له من الآثار والصوادر حسب تعبيره منذ عودته من النجف الأشرف بتاريخ ١٣٥٨/٥/١٤هـ ولم يتوقف عن التوثيق إلى يوم وفاته بتاريخ ١٣٩٨/٣/٢٢هـ واستغرقت هذه المذكرات ١٦ جزءاً طبع منها خمسة عشر في حياته، وهيأ السادس عشر للطبع قبل وفاته، وقد فُقد هذا الجزء الأخير مع الأسف الشديد.

ولم يترك الشيخ شاردة ولا واردة من أنشطته إلا ذكرها، مع توثيق ما يهتم به من أحداث وتراجم شخصيات، إضافة إلى كتب أخرى ألفها لتوثيق بعض الجوانب والمقاطع من سيرته، ككتاب (النفحات الأرجية في المراسلات الفرجية) وكتاب (الدرر المحازات في الرخص والإجازات) و(ثمرات الإرشاد) في نظم رحلته للحج.

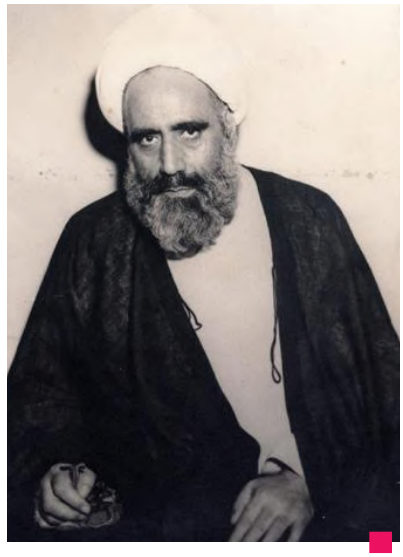

الشيخ عبدالحسين الاميني

ولد في تبريز (1320هـ - 1390هـ).

إنها سيرة ذاتية مفصّلة، أصبحت مرجعاً ومصدراً لا يستغني عنه باحث في تاريخ المنطقة والمجتمع القطيفي.

وأذكر أني بعد سفري للعراق مع والدي في شهر جمادى الأولى ١٣٩٠هـ، تحدثت للشيخ فرج عن مشاهداتي لتشييع العلامة الشيخ عبدالحسين الأميني مؤلف موسوعة (الغدير) في النجف الأشرف صباح يوم الأحد ٨ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ، فشجعني على كتابة تلك المشاهدات، وكتبتها بالفعل وجئت بها إليه ففرح بها جداً، ونشرها باسمي في (الأزهار الأرجية) ج١٣ ص٤٢٠ من الطبعة الأولى. ولا بأس بنقلها كجزء من الذكريات:

كيفية تشييع العلامة الأميني في النجف الأشرف

ويعجبني هنا أن أذكر كيفية تشييع العلامة الأميني في النجف الأشرف بقلم الخطيب ملا حسن بن الحاج موسى بن الشيخ رضي الصفار آل فردان التاروتي وهو ممن شاهد التشييع، قال:

تشييع الأميني

في صباح يوم الأحد الثامن من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٠هـ الساعة ١/٣٥ بالتوقيت العربي رفعت جنازة الشيخ عبد الحسين الأميني من جامعة النجف الأشرف وقد انسدت الشوارع بآلاف المشيعين من جميع الطبقات والجميع في بكاء وعويل تتقدم السرير صورة الفقيد في وسط موكب يردد

هذه الأبيات وقد نكست الأعلام والرايات وهم يقولون:

فجعتنا نوب الدهر فسالت كل عين
أعلى المحسن نبكي أم على عبد الحسين

يا مصاباً طبق الكون وأشجى الخافقين
قمر غاب وغاب اليوم ثاني القمرين

ويشتمل هذا الموكب على العلماء والسادات وطلبة العلم. وخلف السرير موكب ثانٍ منكس أعلامه وهو يردد:

يا أمين الطائفة وأعظم علم
للغدير ونصر للدين ونصير
خسر تاريخ العلم أشرف قلم
وانفجع بمصيبتك يوم الغدير

ومن خلفه موكب ثالث من أهل الأرياف وقد ضم الآلاف وهم يرددون:

يا ناعي الحزن ألمن تنعى وبمن أتنادي
كل يوم افجعتنا ابعلم ها اليوم اشبعد سادي

جف القلم والتحقيق أخرس وامحل الوادي
واعيون الغدير تسيل دم الفقد أبو الهادي

ثم من خلفه موكب رابع يضم الروزخونية وخدمة الحرم العلوي وقد ظهر عليهم أثر الفادح الجلل وقبل سماعك لما يرددون تبكيك حالتهم وهم في لطم مفجع يقولون:

يا دهر المصايب ليش ترمي سهامك علينا
من بعد الحكيم الدين ما نشفت دمع عينه

لرجال العلم كل يوم تصرع منهم العينة
وبمصاب الأميني النوب تفجعنا وتبكينا

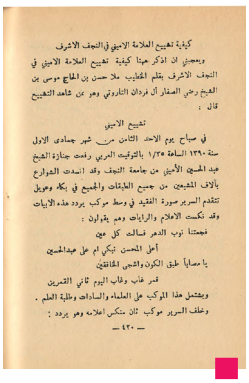
كيفية تغييب العلامة الاميني في النجف الاشرف
ويعجبني ان اذكر هنا كيفية تغييب العلامة الاميني في النجف الاشرف بقلم الخطيب ملا حسن بن الحاج موسى بن الشيخ رضي الصفار آل فرذان التاروتي وهو من شاهد التغييب قال :
تغييب الاميني
في صباح يوم الاحد الثامن من شهر جمادى الاول سنة ١٣٩٠ الساعة ١/٣٥ باتوكيت العربي رفعت جنازة الشيخ عبد الحسين الأميني من جامعة النجف وقد انسدت الشوارع بآلاف المشيعين من جميع الطبقات والجميع في بكاء وعويل تتقدم السرير صورة الفقيد في وسط موكب يردد هذه الأبيات وقد نكست الاعلام والرايات وهم يقولون :
فجعتنا نوب الدهر فسالت كل عين
أعلى المحسن نبكي ام على عبدالحسين
يا مصاباً طبق الكون واشجى الخافقين
قمر غاب وغاب اليوم ثاني القمرين
ويشتمل هذا الموكب على العلماء والسادات وطلبة العلم .
وخلف السرير موكب ثان منكس اعلامه وهو يردد :
— ٤٢٠ —

الأزهار الأرجية

ج13 ص420 من الطبعة الأولى.

ومن خلفه موكب خامس هو أكثر المواكب عدداً تعلو منه الزفرات القاتلات بصرخة واحدة وبصوت واحد ينادون:

تجـري ادموعنـا مـن دم لمصابـك يوالينـا
سـالم تجـي مـن إيـران كلنـا نكـول تلفينـا

يبـو امحمـد رضـا بعلمـك أنـت اللـي تغذينـا
صابـك سـهم المقـدر مـن بعـدك يبارينـا

وهذا حال الناس في ذلك اليوم والسرير يشق طريقه للحرم العلوي ماراً بالسوق الكبير وقد أغلقت الدكاكين والناس قد انسدت بهم الطرق حتى وصلت الجنازة الصحن الشريف بالساعة الثالثة وأربعين دقيقة بالتوقيت العربي فتكون مدة السير ساعتين وخمس دقائق في حين يأخذه الماشي في أقل من ثلث ساعة وما هو إلا من كثرة العالم المتدفقة من كل جهة وكان دخول الجنازة من باب السوق الكبير وقد غص الصحن المقدس بالناس قبل أن تصل الجنازة فأدخلت الجنازة وعلى موضع القدم أقدام فطرحت في المكان الذي يصلي فيه السيد محسن الحكيم قدس سره فأبدل السرير بسرير صغير كي يدخل به داخل الحضرة المقدسة للزيارة وريثما تزور الجنازة تسنم ذروة المنبر السيد جواد شبر وذكر ما للفقيد من الخدمات الدينية والمآثر والتأليف فكأنما يذر الملح على الجراح فارتفع البكاء والصراخ من كل جانب ثم أخرجت الجنازة من داخل الحضرة المشرفة وطرحت للصلاة فتقدم المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي مد ظله وصلى عليه ثم رفعت الجنازة لمقرها الأخير بالمكتبة المعروفة باسم الفقيد تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وخلف على الدين من يقوم مقامه ويسد ثلمته[1].

الشيخ إبراهيم بن عبدالله الغراش

(1361هـ - 1436هـ).

وحدثت الشيخ فرج عن قصيدة نظمتها في تأبين المرجع السيد محمود الشاهرودي (توفي ١٣٩٤هـ) فطلبها مكتوبة ونشرها في ج١٥، ص٣٠٦.

(١) (الأزهار الأرجية) ج١٣ ص٤٢٠.

وفي أول سنة لهجرتي إلى النجف الأشرف لطلب العلم سنة ١٣٩١هـ شجعني الأستاذ الشيخ إبراهيم بن عبدالله الغراش (١٣٦١هـ ـ ١٤٣٦هـ) على اعتمار العمامة وألحّ علي في ذلك، وكنت متريثاً فاقترح عليّ استشارة الشيخ فرج العمران، وكان في زيارة للنجف آنذاك، فشجعني على ذلك، وعقد ما يشبه الحفل بهذه المناسبة في مقر اقامته بمنزل ولده الأستاذ الشيخ حسين، حيث كان مقيماً في النجف.

وقد كتب الشيخ فرج في الجزء ١٤ ص٤٧ توثيقاً للمناسبة جاء فيه ما يلي:

العمائم تيجان العلماء

العراق- النجف الأشرف
1391 هـ

وفي عصر اليوم المؤرخ (يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ) لبس العمامة الخطيب ملا حسن بن الحاج موسى بن العلامة الشيخ رضي بن الحاج علي الصفار آل فردان التاروتي الساكن حينئذ في أم زيد من توابع الدبابية وذلك بعد أن استشارني في

لبسها فأشرت عليه بذلك قائلاً له: العمائم تيجان العلماء، وكان عازماً على المجاورة في النجف الأشرف لطلب العلم الديني، حقّق الله لنا فيه الآمال، وقد ألبسته العمامة أنا بيدي، وكان ذلك في منزل ابني الشيخ حسين، ودعوت له بهذا الدعاء الذي أجراه الله على لساني، وهو: «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، اللهم توِّجه بتاج الكرامة، واجعله من أفاضل أرباب العمامة، اللهم زيِّنه بزينة العلماء العاملين، ووشِّحه ببردة الفضلاء الكاملين، اللهم زوِّده بزاد التقوى، ووفِّقه للعمل الأصلح الأرضى، اللهم أقرّ به أعيننا وأعين المسلمين، واجعله من حفّاظ شريعة سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين».

وقد نظم الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله الغراش قصيدة بهذه المناسبة، وإليك ذكرها تحت عنوان:

تاج العالم وسمة المتعلم

العلـم نـور بـه الألبـاب تعتصـم
حقـاً وينجـاب عـن إشـراقه الظلـم
فكـن لـه سـاعياً بالجـدّ مجتهـداً
وخـلّ عنـك أناسـاً منـه قـد سـئموا
فالناس قسمان إن تسأل أجبك فذو
علـم ومـن في بحـار الجهـل مرتطـم
فحـارب الجهـل تظفـر بالمنـى أبـداً
وانصر ذوي العلم إذ هم للهدى علم
فكـم أنـاروا عقـولاً وهـي مظلمـة
لمـا ألـمّ بهـا مـن جهلهـا لمـم
وأوضحوا غامضات العلم فاتضحت
وبـان للنـاس أنّ الديـن منتظـم

فاخضع لأقوالهم يا ذا الحجى فبهم
تحظى بسعدك إذ هم منقذوك هم
فكم يعانون في ذا الأمر من نصب
كي يوضحوا لحيارى الناس نهجهم
فهم أولو الأمر من بعد الهداة لنا
وهم لنا بعد أهل البيت معتصم
لا غرو لو شمخوا فضلاً وفاق عُلاً
على دم الشهدا حقاً مدادهم
وهم أمان لمن أضحى لهم تبعاً
يوم القيامة فليخسأ عدوهم
هذا أبو حسن عين القطيف ومن
أضحت به الخط بالإيمان تعتصم
أعني بذا فرج العمران من ثبتت
على ذرى المجد والعليا له قدم
فكم هدى حائراً من ظلمةٍ لهدًى
واستنقذ الناس من هُوَاة جهلهم
وأطلق الفكر من قيد الهوى فأتت
شبيبة الخط نحو العلم تزدحم
جاءت إلى النجف الأسمى مهاجرة
للعلم تسمو بها نحو العلا الهمم
مثل (ابن موسى) ومن ينميه مرتقياً
إلى العلا جده العلامة العلم

أعني الرضي رضي الدين والخلق الـ
ـكريم نسل كرام طبعها الكرم
ذاك ابن موسى الذي سمّاه بالـ(حسن)
العلاء والفضل والتوفيق والشمم
أتى ليبني كما كانت أوائله
تبني ويرسم هدياً مثلما رسموا
لذاك تاقت إلى لبس العمامة منـ
ـه النفس وهي بتاج العلم تتسم
وقد أتى مستشيراً شيخنا فرج الـ
ـعمران إذ رأيه حزم ومعتصم
فقال: يا حبذا تاجاً فجاء بها
مثل الهلال فهنئ من بها غنموا
هنيء ذوي العلم بالتيجان تلبسها
بل هنئ التاج إذ يعلو رؤوسهم
هم هدى للورى إن غمة دهمت
وهم عماد لهم إن زلت القدم
لا تسأم العلم إن شئت النجاة فما
ناجٍ سوى من هم للعلم قد علموا
واستسهل الصعب بالصّبر الجميل فلا
يصاحب النصر إلا الصّابر الشّهم
واختر لنفسك خلاً ليس ذا حسدِ
فحاسد الناس لا تزكوا له شيم

وجاهـد النفـس أن تدنـو لموبقـة
فإن دنت ندمت مثـل الأولى ندموا
وكـن صبـوراً إذا وافتـك معضلـة
فـكل ذي مسـكة باللـه يعتصـم

ونظم أيضاً قصيدة بهذه المناسبة الشيخ جمعة بن سلمان الحاوي البحراني الستري أحد الطلبة المجاورين بالنجف الأشرف لطلب العلم الديني وأحد خطباء المنبر الحسيني، وافتتح القصيدة بذكر ميلاد الرسول الأكرم بمناسبة أن هذا اليوم هو يوم الميلاد الميمون، وإليك ذكر القصيدة تحت عنوان:

الفرحة الكبرى

ولـد المربـي للبريـة أحمـد
فغـدت لـه الدنيـا ضيـاً تتوقـد
قـد جـاء يحمـل للأنـام نجاتهـم
أنعـم بـه فهـو العظيـم المرشـد
واللـه بالظفـر الكبيـر معينـه
ولـه النجـاح عـلى العـداة يُقيّـد
اليـوم قلبـي فيـه حلـت فرحـة
كبـرى وأخـرى في الفـؤاد تؤكـد
فالفرحـة الكبـرى بمولـد منقـذ
أعنـي بـه المبعـوث وهـو محمـد
ولنـا الكرامـة إذ نشـيد بذكـره
ولأجلـه نلقـي الثّنـا ونـردّد

إنّ القوافـي قـد قصـرن ولـم تكـن
وفّتـه حـق المـدح وهـو الأمجـد
والفرحــة الأخــرى بشــهم طيــبٍ
(حسـن) بـه أمـل النجـاح موطّـد
لبـس العمامـة وهـي خيـر أمانـة
للديـن عنـد المـرء إذ هـي تشـهد
تـرك البـلاد وجـاء يطلـب للعـلا
بالعلـم حيـث بـذاك لا يتـردّد
والعلـم إن كان الرشـاد طريقـه
أكـرم بـه فهـو الطريـق الأرشـد
أمـا إذا كان الدّمـار طريقـه
أسـوء بـه وإلى الجحيـم يخلّـد
سرْ يـا ابـن موسـى للعلـوم مشـمراً
إن الطريـق إلى العلـوم ممهّـد
واحفـظ أمانتـك العمامـة وارعهـا
واتـرك أناسـاً هـم لقـدرك حسّـد
وإليـك يـا علامـة (الخَـطّ) الـذي
قـد صـارت الدنيـا بفضلـك تشـهد
أعنـي بـه فـرج القطيـف فإنـه
علامـة وعلومـه لا تُجحـد
وعليـك مـن لطـف الإلـه حراسـة
لا تسـتطيع بـأنْ تقابلهـا يـد

صـلّى الإلـه عـلى النبـي وآلـه
في كل وقـت ذكرهـم يتـردّد
وأعيـد قولـي بالثنـاء مكـرّراً
ولـد المربّـي للبريّـة أحمـد[1]

كان كتاب (الأزهار الأرجية) من أوائل الكتب العامة التي قرأتها خارج سياق كتب تحضير الخطابات، وقد تعلقت بالكتاب كثيراً، وكنت أترقب أجزاءه الجديدة، ولعل السبب الأساس أنه كان يلبي حاجتي للتعرف على أجواء الوسط الديني الذي أصبحت جزءاً منه كخطيب وطالب علم، ففيه تراجم للعلماء والخطباء والأدباء، واستعراض لموادّ وكتب ومراحل الدراسة في الحوزات العلمية، من خلال تلك التراجم والسير، وتوصيف للمناسبات والأعراف والتقاليد داخل المؤسسة الدينية، كما يضم معلومات تاريخية وأدبية عن المجتمع القطيفي.

لقد قرأت أجزاءه أكثر من مرة، وأعددت فهرساً لأعلام المنطقة المذكورين في كل أجزائه الخمسة عشر، كما وضعت فهرساً آخر لما يرتبط بحياة المؤلف الشيخ فرج، بتصنيف موضوعي: شعره، أسفاره، إجاباته على الأسئلة، وكالاته وإجازاته، أخلاقه، أطيافه ومناماته إلى سائر الجوانب، وخططت لإصدار كتاب يضم خصوص التراجم في الأزهار، عنونته (رحيق الأزهار في تراجم العلماء والأدباء والأخيار) وقطعت شوطاً كبيراً في إعداده، كما خططت لتجميع سيرة الشيخ فرج المتناثرة في الأزهار ضمن عناوين موضوعية، وأنجزت عدة ملفات على هذا الصعيد. كل ذلك يُبرز مدى اهتمامي وتعلقي بالأزهار الأرجية آنذاك، وتأثري بشخصية مؤلفه.

إن الجانب الأساس الذي استأثر باهتمامي في سيرة الشيخ فرج العمران وكتاباته هو منهجية تعامله مع الوسط الديني الذي ينتمي إليه، وهو ما سعيت لتمثله في علاقاتي الاجتماعية.

.....

(١)الأزهار الأرجية، ج١٤، ص٤٧-٥٥.

ويمكنني أن أشير إلى بعض جوانب هذه المنهجية كما بدت لي في سيرته وكتاباته:

أولاً: شغف التعرف على أعلام ورموز هذا الوسط الديني، والكفاءات المنتمية إليه، فللشيخ ولع في كتابة تراجم العلماء والخطباء والأدباء، وتسجيل آثارهم، وهو يشجع أي جهد يبذل على هذا الصعيد ويُشيد به.

ثانياً: إبداء الاحترام والتقدير لأبناء هذا الصنف، بمدحهم والثناء عليهم وزيارة قبور المتوفين منهم. وقد زيّن جدران مكتبته بصور لعدد من المراجع ومن علماء المنطقة.

ثالثاً: التواصل والتعارف الشخصي مع المعاصرين من أهل العلم والفضل والأدب، في داخل وطنه، وحينما يسافر إلى الخارج، ففي زياراته للحج والعمرة ومراقد أهل البيت عليهم السلام في العراق وإيران وسوريا، يخصص جزءاً كبيراً من وقته لزيارات مختلف المراجع والعلماء والخطباء والأدباء، يزورهم ويزورونه، كما هو واضح في توثيقه لأسفاره.

وأشير هنا بالمناسبة إلى أني في سفري الثاني للعراق مع والدي في شهر جمادى الأولى ١٣٩٠هـ، كانت في ذهني كل الأسماء التي تحدث الشيخ فرج في الأزهار عن لقائه بها، في النجف وكربلاء والكاظمية، وكنت أسعى للقاء بها وزيارتها، وبالفعل زرت من استطعت منهم.

رابعاً: استيعاب اختلاف الانتماءات والتوجهات في الوسط الديني، حيث لم يحصر تواصله وعلاقته بجهة دون أخرى، ولم يقحم نفسه في أي صراع أو خلاف، وشواهد هذه الحالة واضحة جلية في سيرته وكتاباته فهو يتواصل مع مختلف المراجع والعلماء كما في زيارته للنجف وكربلاء والكاظمية وقم ومشهد، ولا أعتقد أنه لا يعرف عن وجود خلافات وتباينات في تلك الأوساط، بل أعتقد أنه لا يرى نفسه معنياً بها.

ويمكن الاستشهاد في هذا السياق بما ذكره الشيخ فرج في الأزهار الأرجية من علاقة له ببعض أعضاء مدرسة الشيخ الخالصي ومكتبته في الكاظمية، حيث يزورونه كلما قدم إلى الكاظمية، ويهدونه مطبوعات مكتبة الشيخ الخالصي، بل ذكر الشيخ فرج أنه كان يحرص على استماع محاضرات الشيخ الخالصي في إحدى سفراته.

وقال في الجزء الرابع من الأزهار عن زيارته للكاظمية أواخر شهر شعبان وبداية شهر رمضان سنة ١٣٧١هـ ما نصه:

وزرت كثيراً فضيلة العلامة السيد علي نجل المغفور له السيد حسن الصدر في مقبرة والده المقدس، وقرأت له الفاتحة وبعض السور القرآنية مرارًا، وطالما جلست مع السيد علي المذكور ليلاً في شهر رمضان لاستماع ما يلقيه في (المكرفون) الشيخ الخالصي من المحاضرات القيمة الممتعة بالفوائد الجمة المهمة، ولقد سمعت منه ما يدهش الألباب من الفلسفة الناضجة فلسفة سرّ الصوم، سرّ معنى الحديث >صوموا تصحوا<[1].

وحين كانت بعض الأوساط الدينية في القطيف تعيش بقايا الخلاف والصراع بين الأصوليين والإخباريين، كتب الشيخ فرج العمران كتاباً بعنوان (الأصوليون والإخباريون فرقة واحدة) دعا فيه إلى حصر الخلاف في إطاره العلمي، والحفاظ على وحدة المجتمع الديني.

السيد محمد صالح السيد عدنان البحراني

وحين أصدر الخطيب السيد محمد صالح السيد عدنان البحراني كتابه (حصائل الفكر في أحوال الإمام المنتظر) سنة ١٣٩٢هـ وقامت ضجة في الوسط الديني تجاه بعض ما ورد في الكتاب، مما اعتبر منافياً للمعتقدات، حتى حرّم أحد كبار علماء البحرين دعوة المؤلف للخطابة والاستماع لخطابته، وقد تضمن الكتاب قصة نسبها لأحد أجداد الشيخ فرج

(١) الأزهار الأرجية، ج٤، ص٧٩، مطبعة النجف ١٣٨٣هـ.

العمران وفيها إساءة وتجريح، ووصلت أصداء الضجة إلى مسامع الشيخ فرج، لكنه لم يبادر لاتخاذ أي موقف قبل أن يطلع على الكتاب، وحين اطلع عليه كتب حوله ملاحظات نقدية هادئة، ولم تتأثر علاقته بالسيد المذكور وجاء في مقدمة نقده ما يلي:

(حصل لدي «حصائل الفكر في أحوال الإمام المنتظر» عجل الله فرجه لمؤلفه البحاثة الخطيب السيد محمد صالح ابن العلامة السيد عدنان البحراني.

كنت أسمع لهجة الناس بذكر هذا الكتاب القيّم حتى أهداني إياه الخطيب الملا سعيد ابن الشيخ علي أبي المكارم في أوائل شهر رجب من العام المؤرخ (١٣٩٣هـ) فسرحت بريد نظري في رياضه الزاهرة، واقتطفت بيد فكري من ثماره اليانعة، ودعوت لمؤلفه الكريم بدوام التوفيق لتأليف أمثاله من الكتب القيمة، نعم بما أنه روضة ذات ثمار ولا تخلو الروضة من شوكة ما، وما كل ثمرة بلغت النضج: عثرت على زهرات ذات أشواك، وثمرات مقتطفة قبل النضج، ولا عجب ولا بدع، فإن الجواد قد يكبو، والسيف قد ينبو، وكما قيل من صنّف فقد اُستهدف، والكمال لله وحده. وقد دار في خلدي أن أتكلم على بعض تلك الفكر بما يسنح لي من خواطر ونظرات، ولكن بعضها يحتاج إلى أفق أوسع من أُفقي، ومحيط أهدأ من محيطي، والألمعي يفهم ماذا أقول.

نعم هناك مطلبان لا أرى بأساً أن أعلق عليهما كلاماً لا يجرح العواطف، خصوصاً وأن المؤلف الثبت من أصدقائي المخلصين، وأودائي المريدين، صداقة ومودة لله وفي الله تعالى، ومن قرأ مسفوراتي، ودرس مؤلفاتي، ولا سيما رسالتي (الأصوليون والإخباريون فرقة واحدة) عرف بوضوح أني لا أحب النقد وأكره الشغب، والآن آن بيان المطلبين والتعليقين)[1].

.....

(١) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية، ج١٥، مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، ص١٧٥-١٧٦.

هكذا تعرفت على الشيخ فرج العمران، واستفدت من سيرته وكتاباته، ما أعتقد أنه وجّه سيرتي وسلوكي في تعاملي وعلاقتي بالوسط الديني.

الشيخ عبدالحميد الخطي (١٣٣١هـ -١٤٢٢هـ)

الشيخ عبدالحميد الخطي (1331هـ - 1422هـ).

كنت أتردد على زيارة جدي لأمي الملا محمد بن الشيخ عبدالله بن الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ حسين آل سيف، (١٣١٢هـ ـ ١٣٩٤هـ) ومنزله في حي (الزريب) بالقلعة، قريب من منزل الشيخ عبدالحميد الخطي، ويمت له بصلة قرابة، فهو خال زوجته الأولى (المرحومة زينب بنت مهدي بن عبدالحسين الخنيزي) ويدخل بيت الشيخ في أي وقت، فتستقبله إبنت أخته وقد يجلس عندها بعض الوقت، ثم يدخل مجلس الشيخ.

وكان ملتزماً بحضور صلاة الجماعة التي يقيمها الشيخ عبدالحميد في المسجد المعروف آنذاك بمسجد (الشبيبة) في ساحة القلعة، وفي أحد الأيام كانت زيارتي لجدي قريباً من وقت آذان المغرب، فخرجت معه وهو ذاهب لصلاة الجماعة، فشجعني على الدخول معه إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة، وبعد الصلاة جلس الشيخ على كرسيّ إلى جانب المحراب وشرع في بيان بعض المسائل الفقهية، وهنا تعرفت على الشيخ الخطي

مباشرة وكنت أسمع عنه، فشدني أسلوبه في بيان المسائل الفقهية في الوقت الذي بدأت أشعر فيه بالحاجة إلى الاطلاع عليها ما دمت قد انتسبت إلى سلك الملالي والخطباء.

فقررت الالتزام بالحضور ليلياً إلى المسجد، والبقاء بعد الصلاة للاستماع إلى درس الشيخ في المسائل الفقهية، وكان يشرح مسائل (منهاج الصالحين) الرسالة العملية للمرجع الراحل السيد محسن الحكيم. ومعظم المصلين ينصرف بعد إتمام صلاة العشاء، ولا يبقى إلا عدد قد لا يتجاوز الخمسة عشر شخصاً، والمسجد مساحته كانت في حدود (١٥٠) مترًا مربعاً، أما عدد المشاركين في صلاة الجماعة فيقارب الخمسين إلى ستين شخصاً، وفي أيام الصيف تنتقل صلاة الجماعة فوق سطح المسجد.

وجدت في بحث الشيخ ما كنت أبحث عنه من معرفة للمسائل الفقهية التي هي محلّ ابتلاء للمكلفين، وكان شرحه للمسائل واضحاً شيقًا، تتخلله بعض الشواهد والقصص، ومع تكرر حضوري وطرحي لبعض الأسئلة اقتربت من الشيخ، وصرت أرافقه بعد الصلاة في طريقه إلى منزله، حيث يصحبه أحد أبنائه وأخوه الأستاذ محمد سعيد الخنيزي وابن أخيه الأديب عبدالواحد الخنيزي وآخرون في بعض الأحيان وفيهم من يحمل الفانوس؛ لأن الأزقة داخل الحي مظلمة .

ودعاني الملا عبدالله بن سعيد آل سيف لحضور جلسة أسبوعية عصر كل يوم جمعة في منزله بحيّ المدارس يحضرها الشيخ عبدالحميد الخطي، وكان الملا عبدالله خطيباً ومهتماً باقتناء الكتب الدينية والأدبية، رغم أنه كان كفيف البصر، إلا أنه استقطب بعض الشباب ليقرأوا له في الكتب التي يرغب في قراءتها، وكان يدرس في معهد النور للمكفوفين في القطيف، ومع أنه كان ضعيف الحال اقتصادياً إلا أن مجلسه مفتوح يومياً لأصدقائه، ومنزله كان قرب عين (المدارس) وهو منزل مبني من سعف النخيل والأخشاب كما هو شأن بيوت العِشش والصنادق، أقيم على أرض وقف مستأجرة.

واظبت على الحضور في هذه الجلسة الأسبوعية، وأكبرت في الشيخ الخطي تواضعه واستجابته لطلب الملا عبدالله بالمجيء إلى منزله المتواضع، حيث كان الشيخ يأتي ماشياً من منزله في القلعة أو منزله في البستان، وفي بعض الأيام بعد نزول المطر يكون الطريق إلى المنزل موحلاً، وحتى داخل المنزل توضع بعض الأخشاب أو الأحجار للوصول إلى المجلس.

وكان الحاضرون في الجلسة الأسبوعية في حدود الثمانية إلى عشرة أشخاص مما يجعل فرصة التحادث مع الشيخ متاحة للجميع، وكنت أحضر مع عدد من الشباب المقاربين لي في السنّ أعمارهم ما بين الثانية عشرة والعشرين عاماً، كالأخ علي بن أحمد نصر الله وأخيه عبدالعزيز، والأخ عبدالعلي البحارنة وأخيه مهدي، والأديب وجدي المحروس والأخ علي عبدالله بن كرم وآخرين.

عادة ما تدور في الجلسة أحاديث أدبية ومسائل فقهية، فكانت جلسة تربوية تثقيفية نافعة.

وفي إحدى العطل المدرسية عرض عليَّ الأخ فوزي بن عقيل الحداد أن نطلب من الشيخ الخطي درساً في النحو على كتاب (قطر الندى) وفوجئت بموافقة الشيخ الفورية على الطلب، وصرت أحضر مع الأخ فوزي في مجلس الشيخ صباحاً لتلقي الدرس الذي استمر لحوالي شهر ونصف هو ما تبقى من أيام تلك العطلة الصيفية. وأذكر أنه كان يسبقنا إلى مجلس الشيخ الخطيب الملا محمد علي الناصر من القديح لتلقي درس من الشيخ في كتاب (جواهر البلاغة)، ولعل ذلك في سنة ١٣٨٨هـ أو ١٣٨٩هـ.

وأذكر أن أول محاولة لي لنظم الشعر أني نظمت مقطوعة بتاريخ ١٢ شعبان ١٣٨٨هـ بمناسبة ميلاد الإمام المهدي عليه السلام، مطلعها:

قـم نهنـي المصطفـى خيـر البشـر
قـد أتـت أم العـلى بالمنتظـر

وكنت أريد إلقاءها في احتفال في حسينية الحاج مهدي الأسود في حيّ

(أم الجزم)، فرغبت أن أعرض المقطوعة على الشيخ الخطي لإصلاح ما قد يكون فيها من خلل، فكان الشيخ في زيارة لقرية الجش ضمن برنامج زياراته السنوية، حيث يمكث في القرية لبضعة أيام. فبعثت إليه المقطوعة مع رسالة ألتمس منه الإسراع في إصلاحها لقرب موعد الاحتفال، وبالفعل أجرى عليها بعض التعديلات وأرجعها إليَّ في اليوم التالي، وشجعني على قراءة دواوين الشعر لتنمية الموهبة الشعرية.

وكان الشيخ الخطي يمتاز بذوقه الأدبي الرفيع، وبمنطقه الرصين، وبحلمه وسعة صدره، وبحكمته في تناول الأمور الاجتماعية ومعالجتها. وهذا ما أهّله ليكون في موقع القيادة والزعامة للمجتمع القطيفي بعد أن تحمّل مسؤولية القضاء والمحكمة الجعفرية.

مجلس الملا علي الطويل (١٣٣٧-١٤٣٤هـ)

الملا علي الطويل

(1337 - 1434هـ).

عشت تلك السنوات الثلاث أو الأربع من عمري ما بين ١٣٨٨هـ و ١٣٩١هـ حالة من التواصل الاجتماعي المكثف في الوسط الديني، وهو ما أثرى مشاعري وخبرتي الاجتماعية، وأفادني على الصعيد الثقافي والأدبي، ومن المجالس التي انفتحت عليها واستفدت منها: مجلس الملا علي بن حسن الطويل(أبو حسن) حيث صرت أحضر مجلسه بعض الأيام في منزله الصغير المتواضع في القلعة، وكانت جدران الغرفة الصغيرة كلها مغطاة برفوف الكتب، وكانت الجلسة تبدأ في وقت مبكر بعد الظهر، وتستمر إلى المغرب، ويواظب على الحضور فيها عدد من الشباب المهتمين بالثقافة والأدب.

كان أبو حسن يعرف موقع كل كتاب في مكتبته، مع أنه كفيف البصر، وكان يستثمر حضور الشباب لديه، ليقرأوا عليه، وفي ذلك المجلس يهيئ مادة خطابته، ومما لفت نظري أنه كان يفيد من يقرأ عليه، بتصحيح نطقه بالكلمات، لتلافي مخالفة قواعد النحو والصرف، وعند الاستشكال في أي لفظة، يطلب أبو حسن الرجوع إلى مصدر لغوي كلسان العرب أو مجمع

البحرين، أو المغني وأمثالها من كتب اللغة والنحو.

فكان مجلسه مدرسة أدبية ومنتدى اجتماعيًا تتداول فيه الأفكار وأخبار المجتمع.

لم يمنعه فقد البصر عن طلب المعرفة، ولا قلة اليد عن اقتناء الكتاب، فللكتاب في نفسه معزة كبيرة، إنه يضع قطعًا من القماش أعلى الكتب في الرفوف حتى لا يصيبها الغبار، ويتناول الكتاب من الرف بعناية، وينزعج ممن يفتح الكتاب أو يضعه أو يتعامل معه بدون عناية.

إنه حريص على الاطلاع على أي كتاب يقع في يده، ويصغي بانتباه شديد لمن يقرأ عليه، ويحاول أن يفصل نفسه عن الأحاديث الأخرى التي تدور بين الحاضرين، حتى لا تؤثر على تركيزه، ويطلب من القارئ أن يعيد قراءة بعض السطور والجمل.

ويحفظ النصوص بإتقان، ويلقيها على المستمع بعناية وذوق، وهو من الخطباء القلائل الذين يتفاعلون مع النصوص الدينية والأدبية التي ينقلونها للجمهور، فهو يعشق النص الذي يختاره ويتذوقه، ويسعى لنقل هذا الإعجاب والتذوق للمستمع، وخاصة حين يقرأ روائع الشعر في مدح النبي وآله ﷺ، في مناسبات ذكريات مواليدهم، إنه يطرب لتلك الصور الأدبية، والمعاني الجميلة، ويريد منك أن تطرب معه، فيعيد المقطع، ويشرح ألفاظه، ويوضح معانيه، ويتفاعل بقسمات وجهه وحركات يده.

وهو يحرص في خطابته على استخدام اللغة العربية الفصحى، ويلتزم بقواعد النحو والصرف، ويختار الكلمات الرصينة، والجمل الواضحة البليغة.

وكانت هناك مجالس أخرى في القطيف كنت أتردد عليها وأتفاعل مع روادها ومع الأحاديث التي كانت تدور فيها، ومنها مجلس الأستاذ مهدي بن محمد حسن السويدان (توفي٢/١٢/١٤٢٧هـ)، وكان ناشطاً اجتماعياً، له مجلس مفتوح في منزله كل مساء مع جلسة أسبوعية رئيسة، يحضره عدد من الشباب المهتمين بالثقافة والأدب، وتناقش فيه قضايا اجتماعية

وما يرتبط بالخدمات وأداء المؤسسات الحكومية، وكان الأستاذ مهدي السويدان يبادر للكتابة في الصحافة، أو يرفع رسائل لمسؤولي الدوائر الحكومية عن النواقص والحاجات في الخدمات المرتبطة بحياة المواطنين ومصالحهم، وفي بعض الليالي كان يدعو بعض الشخصيات الدينية لإلقاء كلمة والإجابة على أسئلة الحاضرين، كالشيخ حسين العمران في أوقات عودته للبلاد أثناء دراسته العلمية. وفي بعض المناسبات يقيم حفلاً تلقى فيه قصائد وكلمات، وقد شاركت بالإلقاء في عدة مناسبات. وكان يشجعني كثيراً في مجال الخطابة والإلقاء والنشاط الاجتماعي.

وأبرز صفة لفتت نظري في شخصية الأستاذ مهدي السويدان، أنه لم يكن يكتف بالتذمر وإبداء الانزعاج في المجالس لما يراه من مشاكل ونواقص، كما هو شأن الكثيرين، بل كان يبادر لإيصال الصوت للجهات المسؤولة، كما يطرح بعض المشاكل الاجتماعية للنقاش أمام الرأي العام المحلي ضمن الحدود المتاحة، وقد عبرت عن اهتمامي وتقديري لهذه الصفة في شخصيته بمقطوعة شعرية بعثتها إليه جاء فيها:

اليمين الأستاذ مهدي السويدان- الشمال الخال السيد محفوظ السيد ناصر العوامي

سيرة وضاءة

سـيرة وضـاءة تطبعهـا
في سـجل الخـط بيـن المصلحيـن
وحيـاة ملؤهـا الخيـر الـذي
لـم تـزل تسـمو بـه عبـر السـنين
عرفتـك الخـط ابنًـا طامحًـا
تهـدف الخيـر لـكل المسـلمين

فصمـود لـك في خـط الهـدى
عجـزت عنـه جهـود الخائنيـن

***

لـم تخـن مبـدأك السـامي كمـا
خانـه اهـل يسـار ويميـن
قـد حبـاك اللـه قلبًـا طاهـرًا
وهـو مغناطيـس حـب المؤمنيـن
ولسـانًا تفلـج الخصـم بـه
وتضاهـي الشـعراء البارعيـن
ويراعًـا لـم يـزل يتحفنـا
بسـطور المجـد في ذوق رصيـن
وباخـلاق اراهـا قبسًـا
هـي مـن خلـق امـام المرسـلين
هكـذا يسـموا الفتـى في قومـه
ثـم يبقـى في عـداد الخالديـن
وسـلام لـك منـي عاطـر
وجميـع الاصدقـاء الطيبيـن

سنة 1391هـ

الانكماش والرُّكود فِي الحالة الدِّينيَّة

كانت الحالة الدينية في المجتمع القطيفي آنذاك تعيش حالاً من الانكماش والركود، فعلماء الدين كان عددهم محدوداً لا يتجاوز الستة أو السبعة فقط، وصلاة الجماعة كان يقيمها خمسة من العلماء في كل أرجاء منطقة القطيف، ومدنها وقراها، وهم: الشيخ فرج العمران، والشيخ عبدالحميد الخطي، والشيخ علي المرهون، في مدينة القطيف، والشيخ علي بن يحيى في (السنابس) بجزيرة تاروت، والشيخ عبدالمجيد أبو المكارم في سيهات.

وحين يسافر واحد من هؤلاء الأئمة فإن صلاة الجماعة تُعطّل في مسجده، ولا ينوب عنه أحد في إقامة صلاة الجماعة، مهما طال وقت سفره، كما هو الحال في سفر الشيخ علي المرهون سنوياً إلى النجف الأشرف، حيث يطول سفره إلى خمسة أو ستة أشهر في كل عام. عدا عن سفره للحج والعمرة.

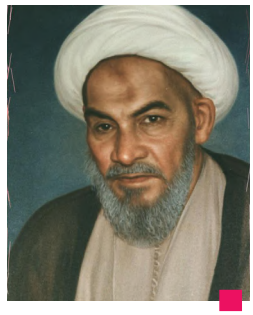

الشيخ علي بن يحيى المحسن (1326هـ - 1401هـ)

ويحدث في بعض مواسم الحج والعمرة والزيارة أن تنحصر صلاة الجماعة في كل القطيف في مسجد أو مسجدين، وأتذكر أني وبعض الزملاء من الشباب كنا نذهب في يوم الجمعة لصلاة الجماعة في (السنابس) بجزيرة تاروت، بإمامة الشيخ علي بن يحيى، حيث لا توجد صلاة جماعة في القطيف لسفر المشايخ للإرشاد في حملات الحج.

وكان السائد في الوسط الديني أن إمام الجماعة لا بد وأن يكون عالم دين يحمل إجازة لإقامة صلاة الجماعة. ولم تكن هناك إجازات لإمامة الجماعة، ولعل المقصود أن يحمل وكالة من المرجع لاستلام الحقوق الشرعية.

كانت معظم مدن وقرى القطيف لا تحتضن عالماً يقيم صلاة الجماعة، ويؤدي الإرشاد الديني، ويتصدى للوظائف الدينية الاجتماعية. مما دفع بعض العلماء للقيام بجولات سنوية منتظمة لبعض القرى والمناطق، أو تخصيص يوم في الأسبوع لزيارة منطقة معينة وإقامة صلاة الجماعة فيها.

الشيخ محمد صالح المبارك

ففي كل ليلة جمعة كان الشيخ محمد صالح المبارك قاضي المحكمة الجعفرية في القطيف يذهب إلى مدينة صفوى، وهي بلاده في الأصل، وله فيها منزل وعائلة، وكذلك كان الشيخ علي المرهون يذهب إلى بلده أم الحمام ليلة في الأسبوع حيث له منزل وعائلة، أما الشيخ عبدالمجيد أبو المكارم فقد خصّ أكثر من قرية بزيارة أسبوعية، كالعوامية والخويلدية، وحلة محيش، فهو العالم الوحيد في المنطقة للمحدثين الإخباريين.

كما كان للشيخ فرج العمران جولة سنوية على بعض المناطق والقرى، يلبث في كل واحدة منها أسبوعاً أو عشرة أيام، وللشيخ عبدالحميد الخطي جولتان سنويتان تختص بهما القديح والجش.

هؤلاء المشايخ على قلة عددهم كان دورهم المعرفي يتركز غالباً في تبيين المسائل الفقهية للسائلين، أو بالمبادرة لإلقائها في الحاضرين لصلاة الجماعة، ولم يكن متعارفاً في الوسط الديني آنذاك إلقاء المحاضرات أو إقامة الندوات أو عقد الدروس العامة للجمهور من قبل العلماء.

الشيخ عبدالمجيد أبو المكارم

ولأن هؤلاء المشايخ في مرحلة الكهولة فقد كان هناك قلق من الفراغ الذي سيواجه الوسط الديني في المستقبل، إن لم يكن هناك إعداد لجيل جديد من طلبة العلوم الدينية ليكونوا علماء وموجهين للمجتمع في المرحلة القادمة.

لكن الإقبال على طلب العلم الديني والهجرة إلى الحوزة العلمية كان محدوداً جداً، فلم يكن عدد المهاجرين للدراسة في النجف الأشرف من أبناء القطيف يصل إلى العشرين طالباً، مع توقع حالات التسرب والتراجع عند بعضهم بسبب مواجهة الصعوبات أو عدم التكيّف مع طبيعة الأجواء الحوزوية.

أما الخطباء والملالي حيث يطلق على من يحترف قراءة التعزية في المجالس الحسينية: ملّا، إذا لم يكن منشغلاً بدراسة العلوم الدينية فينال عنوان المشيخة، ويسمى شيخاً، ولا تكاد قرية أو مدينة تخلو من الخطباء والملالي.

وقلة من هؤلاء الخطباء اهتموا بالتثقيف الذاتي عبر اقتناء الكتب ومطالعتها، فتميّز مستوى أدائهم الخطابي مقارنة بالمستوى العام للخطباء في المنطقة آنذاك، الذين كانوا يكتفون بقراءة السيّر التاريخية وقصائد العزاء والرثاء.

وكان من أبرز أولئك الخطباء المتميزين آنذاك الشيخ ميرزا حسين البريكي، والشيخ سعيد أبو المكارم، والشيخ عبدالحميد المرهون.

كان الطابع العام للخطاب المنبري هو السرد التاريخي، بعرض شيء من قصص الأنبياء، أو سير الأئمة ﷺ، وذكر فضائلهم ومصائبهم، ومساوئ أعدائهم ومناوئيهم كالحكام الأمويين والعباسيين، وقد يتناول بعض الخطباء قضايا عقدية وخاصة فيما يتعلق بالجانب المذهبي، أو مسائل فقهية، أو مواعظ أخلاقية.

في هذا الوقت كانت مدارس التعليم قد انتشرت، وأقبل الأهالي على تسجيل أبنائهم وبناتهم فيها، وأصبح هناك جيل من المتعلمين، وبعضهم التحق بالجامعات، وحصلت للبعض فرص ابتعاث تعليمية لخارج البلاد كمصر ولبنان، وأمريكا وأوروبا.

وعدد كبير من أبناء المجتمع القطيفي التحقوا بشركة أرامكو، وأتيحت لهم دورات تعليمية لتعلم اللغة الإنجليزية، وكسب الخبرات المهنية المرتبطة بصناعة النفط، كما ابتعثت أرامكو بعضهم إلى الخارج للدراسة ولتطوير الخبرة العملية والإدارية.

وقد اجتذبت شركة أرامكو مجاميع من أبناء الشعب السعودي من مختلف المناطق، كما اجتذبت كفاءات إدارية قيادية من مختلف البلدان العربية كمصر وسوريا والأردن وفلسطين ولبنان وغيرها ومن أمريكا وأوروبا.

احتكاك أبناء المنطقة مع أبناء المناطق والبلدان الأخرى، مع اختلاف توجهاتهم الدينية والثقافية والسياسية، فتح أبناء المنطقة على الثقافات والتيارات المختلفة، التي تركت تأثيراتها في أوساطهم.

وهكذا فإن الجيل الجديد من الشباب انفتح على ثقافات جديدة، فهو جيل متعلم، أتيحت له فرص الاطلاع على آفاق أخرى، والتواصل مع مجتمعات مختلفة، فكان من الطبيعي أن تنشأ امتدادات للثقافات والتيارات الفكرية الأخرى في أوساط شباب المجتمع.

وكما يقول السيد علي العوامي: (فكان هؤلاء الأساتذة العرب الموظفون في أرامكو القادمون من هذه البلدان مزيجاً مختلطاً من هذه الأفكار والنظريات المتعددة، فكان فيهم شيوعيون، وبعثيون، وقوميون عرب، وقوميون سوريون، وآخرون وطنيون يحملون روحاً نضالية، وأفكاراً وطنية دون أن يكونوا منتسبين أو متأثرين بمذهب سياسي معين.

السيد علي العوامي

ولما كان أغلب الملتحقين بمؤسسات ومدارس أرامكو التعليمية هم من الشباب اليافع المتطلع، والنَّهِم للتعلُّم، والتعرف على الأفكار والنظريات الحديثة، وللدخول والاندماج ضمن العالم الحديث، فقد وجد هؤلاء الأساتذة فيهم الأرض الخصبة الصالحة لبذر الأفكار والنظريات التي يحملونها، فكان الأمر كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خاوياً فتمكنا

وكان بعض هؤلاء الأساتذة قد ظل على انتمائه للحزب الذي كان منتظماً فيه وهو في وطنه، فصاروا يشرحون أفكارهم ونظرياتهم، ويدرِّسونها لطلبتهم، فكان الحديث حول هذه الأفكار، والنظريات يقتطع جزءاً كبيراً من أوقات الدروس المقررة، وكان الطلبة راضين بذلك فرحين به، فلم تمضِ سنوات قليلة حتى كانت الأفكار الشيوعية، والبعثية، والقومية العربية، هي الأفكار الأكثر رواجاً بين الطلبة.

ولقد استطاع بعض هؤلاء الأساتذة أن ينظم استيراد صحيفة الحزب الشيوعي اللبناني (الصرخة)، ثم (النداء) في غفلة من الدولة والشركة معاً، وكانت توزع بصورة سرية بين طلبة المدارس، وبعض موظفي أرامكو من المتعلمين والمثقفين، ولقد امتد التأثير إلى بعض العمال المهنيين الفنيين الأميين الذين اكتسبوا خبرتهم من ممارسة العمل.

فرغم أمِّيَتِهم؛ إلا أنهم بسبب احتكاكهم بطبقة المتعلمين والمثقفين تكوَّن لديهم وعي سياسي، وتبنَّوا الأفكار الوطنية والنظريات السياسية، وشاركوا بعد ذلك في الأحداث التي وقعت بحماس، ونكران ذات.

وكان طبيعياً أن لا تظل هذه الأفكار والنظريات والآراء حبيسة الصدور، وضمن دائرة من اتصل بالأساتذة والمعلمين في مدارس أرامكو؛ بل أخذت تنتشر بين طبقة الشباب الجدد من المتعلمين والطلبة من غير موظفي أرامكو وصار الشباب يتطلع إلى اقتناء الكتب التي تبحث وتُعنَى بهذه الأفكار والنظريات، ويُقبِل، بنهمٍ على شرائها)[1].

إن اتساع رقعة التعليم، وانتشار وسائل الإعلام كالمذياع والتلفزيون، والانفتاح على المجتمعات الأخرى ذات الثقافات المختلفة، وتطور حياة الناس على المستوى المعيشي والاقتصادي، حيث انفتحت أبواب الوظائف في الدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات، التي اجتذبت أبناء المجتمع من مجالات أعمالهم التقليدية كالزراعة وصيد الأسماك وسائر المهن البدائية، كل هذه العوامل جعلت الحالة الدينية التقليدية في المجتمع أمام تحدٍّ كبير، حيث لم تكن في مستوى الاستيعاب والمواكبة لهذه التطورات، فالخطاب الديني التقليدي كان عاجزاً عن استقطاب الشباب، ومنافسة الطروحات الثقافية الحديثة، والاجابة على التساؤلات الفكرية الجديدة. لذلك كان حضور الشباب في المساجد والحسينيات محدوداً، وفي إطار التقاليد الاجتماعية للمناسبات الدينية، التي لا يلازمها الاقتناع والتفاعل الفكري.

إن المساجد التي تقام فيها صلاة الجماعة كانت محدودة الحجم والمساحة، وكما ذكرنا سابقاً فإنها في حدود خمس جماعات، في كل المنطقة، ومع ذلك لا تكاد تمتلئ تلك المساجد إلا في بعض المناسبات كشهر رمضان، ونسبة الشباب فيها كانت قليلة.

.....

(١) سيد علي السيد باقر العوامي. الحركة الوطنية السعودية (١٩٥٣-١٩٧٣)، ج١، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر)، ص٦٨-٧٠.

وكذلك الحال في الحسينيات التي كانت تزدحم في المناسبات الرئيسة كأيام عاشوراء، لكن معظم الخطابات فيها كانت في الإطار التقليدي غير الجاذب لنفوس الشباب وأفكارهم.

ولا يقصد مجالس العلماء على قلتهم إلا كبار السنّ، وعدد محدود من الشباب الذين كانوا يصارعون للحفاظ على التزامهم الديني، ومواجهة مختلف التحديات.

وأذكر أن الأستاذ الشيخ حسين العمران وكان من أبرز طلاب العلوم الدينية القطيفيين في النجف الأشرف آنذاك، كان حينما يعود إلى القطيف في بعض الإجازات الدراسية، يلتف حوله بعض الشباب المتعلمين المتدينين، وتنعقد له بعض الجلسات في منازلهم.

علماء وخطباء من العراق

الشيخ محمد أمين زين الدين

يلقي بحثه الفقهي في مسجد الزهراء بمدينة سيهات، الصوره عام ١٣٩٠/ ١٩٧٠م.

هذا الركود والانكماش في الحالة الدينية، وانجذاب الشباب إلى التيارات الفكرية الوافدة، وانحسار حضورهم في المناسبات والمواقع الدينية، دفع بعض الغيارى المخلصين للتفكير في مبادرات تعيد الثقة بالدين في نفوس

الشباب، وتضع حدًّا لاختراقات التوجهات الأخرى المخالفة للدين التي استقطبت حتى بعض أبناء العلماء والعوائل العلمية الدينية العريقة.

وكان من تلك المبادرات السعي لتشجيع بعض الشباب للهجرة لدراسة العلوم الدينية في النجف الأشرف، لكن الاستجابة كانت محدودة، فلم يكن في الحالة الدينية ما يغري الشباب بمستقبل واعد في الانضمام اليها، في مقابل الفرص التي كانت متاحة للشباب في الالتحاق بالجامعات الاكاديمية، والانخراط في السلك الوظيفي ضمن أجهزة الدولة أو شركة أرامكو وسائر المؤسسات.

ومن المبادرات التي حققت شيئاً من النجاح استقدام بعض العلماء والخطباء من العراق، ممن يتوقع التجديد والتطوير في خطابهم الديني، وامتلاكهم القدرة العلمية والثقافية وجاذبية الطرح والتأثير.

ففي سيهات بادر مجموعة من رجال الأعمال والخير وفي طليعتهم الحاج عبدالله بن حسين المطوع والحاج عبدالوهاب المعلم إلى دعوة الفقيه الشيخ محمد أمين زين الدين (١٣٣٣هـ-١٤١٩هـ) لزيارة المنطقة وإلقاء الخطب والمحاضرات، والشيخ زين الدين له مكانة علمية وفكرية مرموقة في النجف الأشرف، وهو من مراجع التقليد، بل هو من رواد التجديد في الخطاب الديني، فقد انفتح على الأدب العربي الحديث، وكان يتابع كتابات كبار الأدباء والمثقفين في مصر ولبنان، وامتلك قلماً أدبياً رصيناً رشيقاً متميزاً، وقد صدرت له كتب تحمل معالجات فكرية للتحديات التي تواجه الفكر الإسلامي، ككتاب (الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته) وكتاب (إلى الطليعة المؤمنة) وكتاب (العفاف بين السلب والإيجاب) وغيرها. وكان له دور رئيس في إنماء الحركة الأدبية الثقافية في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، وفي مواجهة التيارات الفكرية المناوئة للدين، مما هو موثق ومدوّن في الكتابات التي تناولت تاريخ الحوزة العلمية والحركة الإسلامية في العراق.

وقد استجاب الشيخ زين الدين لدعوة المؤمنين في سيهات، وتكررت زياراته لأكثر من سنة، حيث يقيم بضعة أسابيع في كل زيارة، يقيم صلاة الجمعة والجماعة، ويلقي المحاضرات والخطب، ويستقبل الزائرين

ويجيب على التساؤلات ويردّ على الإشكالات العقدية الفكرية، وكان جاذباً في أخلاقه وتعامله، حيث يبدي الاهتمام والاحترام للشباب، ويستقبلهم بتواضع ولطف، ويخاطبهم بلغة عصرية مقنعة.

الشيخ محمد طاهر الخاقاني

كما بادرت هذه المجموعة في سيهات لدعوة فقيه آخر هو المرجع الديني الشيخ محمد طاهر الخاقاني (١٣٢٨هـ ـ ١٤٠٦هـ) من أهالي خرمشهر (المحمرة) في خوزستان إيران، الذي زار المنطقة لأكثر من سنة، وكان يمكث في كل زيارة بضعة أسابيع أيضاً، يقيم الجمعة والجماعة في سيهات، وله مجلس يستقبل فيه الزائرين ويجيب على الأسئلة، ويلقي المحاضرات والخطب. وكانت أول زيارة له للمنطقة في شهر رجب ١٣٨٤هـ.

والشيخ الخاقاني معروف في الوسط العلمي بعمقه الفقهي والأصولي، واطلاعه الفلسفي، ويتمتع بخلق رفيع، وتواضع جمّ.

كانت زيارات الشيخ زين الدين والشيخ الخاقاني موسماً لحراك اجتماعي معرفي، يتركز في مدينة سيهات، وتمتد بعض آثاره إلى مناطق أخرى، وبعد أن كانت إقامة كل منهما في منزل الحاج عبدالله المطوع، أعدّ الحاج عبدالوهاب المعلم منزلاً خاصاً للضيافة يقيم فيه الشيخ الزائر ويستقبل الزائرين.

المرجع الديني الشيخ محمد طاهر الخاقاني

يقيم صلاة الجمعة في مدينة سيهات

وهناك مبادرة أخرى في ذات السياق كان يقوم بها الحاج محمد تقي آل سيف في تاروت والقطيف حيث استدعى بعض العلماء من خارج البلاد لنفس الغرض، ففي إحدى السنوات استضاف الشيخ محمد علي التسخيري، بتوجيه من المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر، بمناسبة شهر رمضان المبارك، حيث كان يلقي محاضرات ليلية في مجلس الحاج محمد تقي في تاروت، وفي مناطق أخرى، وكان يستقبل الشباب ويحاورهم ويجيب على أسئلتهم، وهو ذو ثقافة واسعة ووعي إسلامي عميق، ومن التلامذة البارزين للشهيد الصدر.

وفي سنة أخرى وبمناسبة شهر رمضان المبارك أيضاً استضاف الشيخ صاحب حسين الصادق من أساتذة مدرسة الرسول الأعظم ﷺ في الكويت بتوجيه من المرجع الراحل السيد محمد الشيرازي، وكان يلقي محاضرة ليلية في مجلس الحاج محمد تقي، ويستقبل الشباب ويتحدث إليهم بلغة عصرية مؤثرة، كما عقدت له جلسات حوارية في مناطق أخرى.

الحاج محمد تقي آل سيف

ولسنتين أخريين استضاف السيد محمد تقي التبريزي على نفس المنوال والبرنامج وكانت للسيد التبريزي محاضرات ولقاءات كثيرة في زيارتيه.

أما المبادرة الأهم والأبرز في الساحة فهي دعوة خطباء من العراق للمنطقة في موسم عاشوراء، فقد شهد خطاب المنبر الحسيني في العراق في تلك الحقبة تطوراً وتجديداً في المضمون والأسلوب، على يد خطباء روّاد في طليعتهم الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، وذلك بفعل ما كانت تعيشه الساحة العراقية من صراع فكري وسياسي.

الشيخ محمد علي التسخيري

لذلك سعى بعض أصحاب المجالس الحسينية لدعوة خطباء من العراق، ومن أبرز المتصدين لهذه المبادرة الحاج محمد تقي آل سيف والسيد محمد السيد باقر العوامي، وقد أعطى مجيء بعض الخطباء

العراقيين كالسيد حسين الشامي والسيد مرتضى القزويني والسيد حسن القبانجي والسيد مهدي السويج زخماً كبيراً لموسم المحرم في المنطقة، فكان الحضور الجماهيري حاشداً في مجالسهم، والتفاعل مع خطاباتهم كان كبيراً، وقد تركت خطابات بعضهم كالسيد حسين الشامي أثراً كبيراً في أوساط الشباب، فقد سمع الناس منهم مواضيع جديدة ، وحتى في جانب التعزية والنعي كانت لهم نكهة مميزة تختلف عن الأداء التقليدي لخطباء البلد. وكان ذلك سبباً لتحفيز بعض خطباء البلاد للتطوير في أساليبهم الخطابية.

سنة 1389هـ

رِحْلاتي إلى الأحْساء

للأحساء في ذاكرتي مساحة واسعة غنّاء، مليئة بالمشاهد والصور البهيجة، ولأهلها الكرام الطيبين في نفسي محبة عميقة ثرية بالأحاسيس والمشاعر النبيلة.

فقد نشأت في القطيف ضمن عائلة محدودة الدخل، وكان والدي منشغلاً بتحصيل لقمة العيش، وتوجهاتي الدينية والخطابية المبكرة قيدتني بأجواء معينة، لذلك لم تتح أمامي فرصة للترويح والترفيه، والبرنامج الوحيد الذي أتذكر الابتهاج به في طفولتي هو الرحلة إلى جزيرة تاروت مع أسرتي للتواصل مع الأقرباء والأرحام،

وخاصة بيت الملا عبدالله الحجاج خال الوالد، حيث ذهبت مع والدي في مناسبات زواج بعض أبناء خاله، وكنا نبيت ليلة الزواج هناك. كما كانت ابنة الملا عبدالله الحجاج زوجة الحاج يوسف الحجاج، واسمها (سعدة) رحمهم الله جميعاً تتبادل مع عائلتي الزيارة، فتزورنا أحياناً في القطيف، ونزورهم أحياناً في تاروت مرة أو مرتين في السنة، هذه الزيارات إلى تاروت كانت بمثابة برنامج ترويح وترفيه.

وحين زرت الأحساء وتنقلت بين قراها وجدت نفسي في أحضان طبيعة غنّاء، حيث غابات النخيل الوارفة والبساتين الخضراء، وأنواع الأشجار وألوان الثمار الطازجة الشهية، وعيون الماء الدافقة، وبرك السباحة الأنيقة، وجبل القارة بمغاراته العجيبة وبهوائه البارد المنعش في أجواء الصيف اللاهب.

وفي القطيف نخيل وبساتين لكنها لا تقاس بسعة وثراء الزراعة في الأحساء، إضافة إلى أن طبيعة نشأتي العائلية لم تتح لي فرصة الانفتاح على أجواء الطبيعة في القطيف.

لذلك كانت زياراتي للأحساء مصدر أنس لي وبهجة ارتياح، حيث تعلمت السباحة بشكل جيد في عين (أم سبعة) و(الخدود) و(الجوهرية) وفي كل يوم تتاح لي فرصة السباحة في بركة في هذا البستان أو ذاك، واستمتعت بالتجوال بين النخيل والأشجار وحقول الرز الأحسائي المميز، وقطف الفاكهة والثمرة اليانعة وأكلها طازجة لذيذة شهية، وما أزال أتذكر لذة التين والخوخ والعنب والطماطم والخسّ والخيار وسائر الفواكه، إضافة إلى ألوان الرطب في الصيف وأشكال التمر في الشتاء.

لقد شعرت في الأحساء براحة وانطلاق نفسي كبير، وأحاطني أهلها الكرام بلطفهم وعنايتهم وتشجيعهم، ففي كل قرية كنت أدعى إليها يستقبلوني بالحفاوة والاهتمام، وكانوا يطلقون عليَّ (الملا الصغيّر).

ومن طبيعة الأحسائيين الكرم، وحبّ الضيافة، فكل واحد يريد دعوتك إلى بيته لتناول طعام الغداء أو العشاء أو الفطور، وإذا لم يسمح

لك وقتك بذلك يدعوك لـ (القهوة) حيث يقدم لك وجبة من الفواكه مع الشاي والقهوة واللبن والعصيرات، لذلك يتنقل الضيف بين بيوت أهل القرية طوال الوقت فلا تنتهي من زيارتك لمجلس حتى تدعى لمجلس آخر، وتكون صيغة الدعوة (نغيّر المكان) أي ننتقل إلى مكان آخر، وكثيراً ما تكون هذه الدعوات بإلحاح من الداعي، وقد يعاتبك أو يزعل عليك إن لم تلبِّ دعوته.

وبالمناسبة أذكر هنا طريفة عن المرحوم السيد إبراهيم الزنجاني (١٣٤٤هـ ـ ١٤٢٢هـ) صاحب كتاب (عقائد الإمامية الاثنى عشرية) و(وسيلة الدارين في أنصار الحسين) و(بداية الفلسفة الإسلامية) وغيرها، وكان مقيماً في جوار مقام السيدة زينب بريف دمشق، كان يقول في تصنيف المجتمعات حسب تجربته: إذا أردت الدنيا فأصحب أبناء الشعب الفلاني، وإذا أردت الآخرة فأصحب أبناء الشعب الفلاني، وإذا أردت خسارة الدنيا والآخرة فأصحب أبناء الشعب الفلاني، (ويذكر أسماء تلك الشعوب حسب نظره)، وإذا أردت الدنيا والآخرة فأصحب الأحسائيين.

ولا شك أن حفاوة أهل الأحساء وتشجيعهم لي كان له أثر في صقل موهبتي الخطابية وإنضاج تجربتي الاجتماعية.

كانت رحلتي الأولى للأحساء في صيف سنة ١٣٨٨هـ بدعوة من مسؤول الحسينية الحيدرية في حيّ الكوت بالهفوف الحاج علي الطاهر القطان، وهي حسينية رئيسة فيها مجلس يومي طوال السنة عصراً، وتستقبل الخطباء الباحثين عن مجالس القراءة لموسم المحرم وصفر وشهر رمضان المبارك، من خطباء البحرين والقطيف وسائر مناطق الأحساء، وتفسح لهم مجال القراءة بحضور أصحاب المجالس ليختار كلٌّ منهم الخطيب الذي يعجبه.

وحينما جاء الحاج علي القطان للقطيف، وزار الوالد طالباً منه الموافقة على ذهابي معه للأحساء للقراءة، تردد الوالد كثيراً أن يسمح لي بالذهاب وحدي إلى مجتمع وأجواء جديدة عليّ لم آلفها، وأن أبقى بعيداً عنه وعن الأهل لمدة أسبوع، وأنا صغير في السنّ في الحادية عشرة

من العمر، ولا يستطيع الوالد أن يترك عمله ويذهب معي، لكن الحاج علي القطان ألحّ وأصرّ وطمأن الوالد بأنه سيرعاني كولد له، ويسكنني في بيته وليس في غرف الضيافة في الحسينية، ولن يتركني في أيّ لحظة حتى يعيدني إلى القطيف.. ووافق الوالد أخيراً، وفرحت جداً بموافقته لأدخل تجربة جديدة أعتمد فيها على نفسي بعيداً عن الرعاية المباشرة للوالد.

وبالفعل لم يقصّر الحاج علي القطان في رعايتي، وبقيت في منزله بحي الكوت لمدة أسبوع كأحد افراد العائلة، وبدأت القراءة في الحسينية الحيدرية، وقد انتشر خبر مجي (الملا الصغيّر) من القطيف، فكان الحضور حاشداً، وكان الناس يزدحمون حولي خاصة الأولاد والشباب، فيكافح الحاج علي وبمعونة آخرين ليفسح لي الطريق لدخولي وخروجي من الحسينية وصعودي المنبر. وكان يرافقني في الذهاب إلى المجالس في المناطق والقرى الأخرى.

وانتهت هذه الرحلة الشيقة في أسبوع وكأنها يوم واحد، وعدت إلى القطيف فاطمأن الوالد لنجاح التجربة، ولم يعد يمانع سفري إلى الأحساء لاحقاً.

وكانت نتيجة هذه الرحلة الأولى الاتفاق على أن أقرأ موسم المحرم القادم ١٣٨٩هـ في الأحساء، وهذا ما حصل بالفعل، وأذكر أني قرأت في (القارة) وفي (الدالوة) وقد رافقني في هذه الرحلة الزميل الصديق علي بن عبدالله بن كرم.

وفي صيف ١٣٨٩هـ بتاريخ ٥ ربيع الآخر سافرت أيضاً إلى الأحساء برفقة الصديق عبدالله بن علي العبكري وبقيت فيها لمدة شهر، أتنقل فيها للقراءة في عدد من المناطق والقرى.

الشيخ أحمد آل أبي علي

(1310هـ – 1397هـ)

دراسة النحو عند الشيخ أحمد إبراهيم آل أبي علي

كنت أحضر صباحاً في حسينية العامر حيث يقرأ يومياً الملا أحمد العوض، ويحضر الشيخ أحمد آل أبي علي وكيل الميرزا حسن الحائري، وبعد القراءة كنت أذهب مع الشيخ أحمد آل أبي علي إلى منزله القريب

من حسينية العامر في (حي الفوارس)، وله مجلس على سطح المنزل، يحضره في غالب الأيام بعض المشايخ كالشيخ علي بن شبيث، والشيخ عبدالوهاب الغريري.

ولإعجاب الشيخ أحمد آل أبي علي(١٣١٠هـ ـ ١٣٩٧هـ) بقراءتي في تلك السن (١٢ سنة)، اقترح عليّ أن يدرسني (الآجرومية في النحو) وكان الدكتور طاهر بن حسين البحراني حاضراً وهو في نفس السنّ تقريبًا آنذاك، فطلب من الشيخ أحمد آل أبي علي أن يقبل حضوره معي في الدرس.

وهكذا بدأنا الدرس عنده يومياً بعد المجيء من حسينية العامر، حتى أكملنا الآجرومية، وفي أحد الأيام ذهبت مع الدكتور طاهر البحراني، إلى محل تصوير (استيديو) ولفّ كل واحد منا غترته على شكل عمامة والتقطنا صورة.

وكان الشيخ أحمد آل أبي علي في بعض الأيام إذا تأخر حضور الجماعة في مجلسه يلقي علينا دروساً من كتاب (حياة النفس) في العقائد للشيخ أحمد زين الدين الأحسائي، كما أهداني الرسالة العملية للميرزا علي الحائري (منهاج الشيعة) وكتابه (الكلمات المحكمات)، والرسالة العملية للميرزا حسن الحائري (أحكام الشيعة).

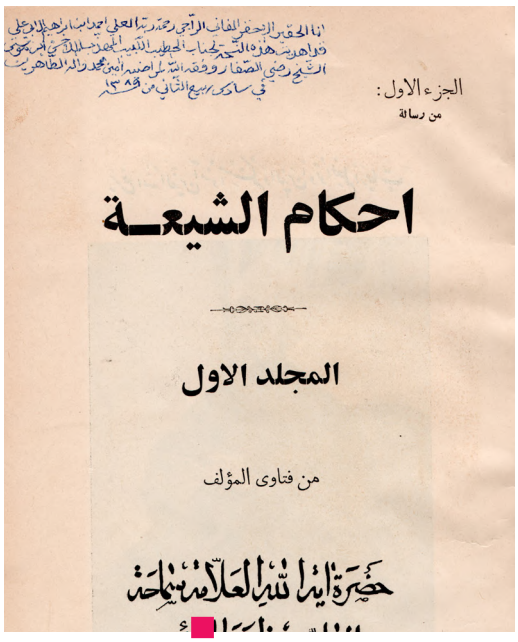
الجزء الاول:
من رسالة
احكام الشيعة
المجلد الاول
من فتاوى المؤلف

صورة ضوئية للإهداء

وما زلت أحتفظ بكتاب (أحكام الشيعة) وعليه إهداء بخطه هذا نصه: (أنا الحقير الأحقر الفاني الراجي رحمة ربه العلي أحمد بن إبراهيم آل أبي علي قد أهديت هذه النسخة لجناب الخطيب اللبيب المهذب الملا حسن بن موسى الشيخ رضي الصفار وفقه الله لمراضيه آمين بمحمد وآله الطاهرين/ في سادس ربيع الثاني من سنة ١٣٨٩هـ).

وفي مجلس الشيخ أحمد آل أبي علي اليومي تعرفت على الشيخ محمد الهاجري لأول مرة، وكان يقيم في كربلاء، ويأتي للإقامة في الأحساء بعض الشهور، كما تعرفت على الشيخ حسين الشواف، والشيخ علي بن شبيث الذي يحضر يوميًا تقريباً.

وكنت أحضر غالب الأيام صلاة الجماعة ظهراً ومغرباً مع الشيخ أحمد آل أبي علي في مسجده بالكوت القريب من الحسينية الجعفرية.

كانت هذه (١٣٨٩هـ) سنة تخرجي من المرحلة الابتدائية، وكنت أنتظر خبر نتيجة الامتحانات للصف السادس الابتدائي، ولأن إقامتي وقتها كانت في قرية (الجبيل)، ولم تكن الجرائد تباع في القرى، فقد كنت أقصد الهفوف لمتابعة نشر أسماء الناجحين في جريدة اليوم، واقتنيت الجريدة ليوم الأربعاء ١٣٨٩/٤/١٦هـ، وكان اسمي من بين الناجحين من المرحلة الابتدائية والحمد لله. وأذكر أني نظمت أبياتاً أحفظ منها:

أتيت إلى الهفوف وإن قلبي تعلّق بين حزن وانشراح

وجئت إلى الجريدة كي أراها فقالت لي: هنيئاً بالنجاح

وتوالت رحلاتي للأحساء طوال أربع سنوت من ١٣٨٨هـ إلى ١٣٩٢هـ فإضافة إلى عشرة المحرم، كنت أقضي بين شهر وشهرين في كل عطلة صيفية في ربوع الأحساء، تجولت في جميع قرى الأحساء تقريباً، وقرأت في معظمها، ومن أكثر القرى التي أقمت فيها عدا الهفوف عاصمة المحافظة قرية (الجبيل)، حيث كنت أقيم في ضيافة السيد طاهر الحسن، وهو من وجهاء القرية وسادتها المحترمين، وصاحب حملة للحج، وكان السيد طاهر وعائلته وخاصة أمه رحمها الله، وكذلك زوجته وأخوانه يعاملونني كفرد من أفراد عائلتهم، وقد اندمجت مع أبنائهم أرافقهم صباحاً لنخلهم ومزرعتهم، وأتمشى معهم، وأمارس الخطابة والقراءة ليلاً في مجالس القرية والقرى الأخرى، وفي كل رحلة كان تعلقي يزداد بالأحساء وأهلها، ويكثر فيها أصدقائي ومعارفي.

ولم يكن في قرية الجبيل عالم دين يقيم صلاة الجماعة بعد وفاة الشيخ عبدالرحيم الممتن بتاريخ ١٣٨٨/١٠/٣٠هـ، فطلب بعض رجالات

القرية من الشيخ حسن الجزيري من بلدة العمران أن يخصص للقرية يوماً في الأسبوع لإقامة صلاة الجماعة وأداء الإرشاد الديني، وكنت أحضر مجالسه حين يأتي للقرية، وكان خطيباً حسينياً وشاعراً أديباً، وعلى درجة عالية من التواضع والخلق الكريم.

والقرية الأخرى التي أطلت المكث فيها هي قرية (القرين) وكنت في ضيافة الحاج طاهر الرشيد والمتصدي لإدارة الحسينية ولده الملا حسين بن طاهر الرشيد، وفي كل سنة كانت تستمر إقامتي وقراءتي في القرية لأسبوعين أو أكثر، وكم كانت تلك الأيام جميلة رائعة، ففي معظم الأيام أذهب مع أبناء الملا حسين الرشيد وأبناء إخوته إلى عين أم سبعة القريبة من القرية، ثم نتمشى ما بين النخيل والبساتين، وفي الليل نسهر بعد القراءة مع رجالات البلد وشبابهم وتكون الجلسات غالباً على سطوح المنازل، فليالي صيف الأحساء بين المزارع والبساتين رائعة منعشة.

وكذلك قرية (المنيزلة) التي أحييت فيها موسمين لمحرم الحرام سنة ١٣٩٠هـ و١٣٩١هـ إضافة إلى بعض الزيارات الصيفية، وكنت في ضيافة الحاج علي السعيد. وفي هذه القرية تعرفت على الشيخ ناصر بوخضر من أهالي فريق (النعاثل) في الهفوف حيث كان يزور القرية بين أسبوع وآخر.

وأُستضفت في قرى عديدة أخرى من الأحساء كالشعبة والبطالية والفضول والتويثير والطرف والجفر والعمران الشمالية والجنوبية والمنصورة والشهارين وغيرها.

ولا أنسى ذكر الحاج علي إسماعيل الذي كان يسكن قرية الجبيل، وله منزل آخر في الفريق الشمالي بالهفوف، ثم أصبح له منزل في الفضول، وكان في ذلك الوقت يمارس التجارة بين القطيف والأحساء في مجال الأقمشة. وتوطدت العلاقة معه فكنت أصحبه في معظم السفرات عند الذهاب للأحساء أو العودة منها إلى القطيف، كما كان ينقل الرسائل أسبوعياً بيني وبين الوالد، ويحمل لي ما أحتاج من الكتب والملابس من أهلي في القطيف حين أكون في الأحساء ويصحبني أيام وجوده في الأحساء في جميع برامجي.

وقد تعرفت على عدد من علماء الأحساء الأفاضل حيث كنت أحرص على زيارتهم وحضور مجالسهم، إضافة إلى اللقاءات التي تحصل في المجالس والدعوات، وقد استفدت من توجيهاتهم وإرشاداتهم، وتأثرت بتواضعهم وأخلاقهم العالية.

ومن أبرز العلماء الذين انجذبت إليهم في الأحساء الفقيه الشيخ محمد الهاجري (١٣٣٥هـ ـ ١٤٢٥هـ) حيث كنت أحرص على زيارته حين يكون في الأحساء، وكان يغمرني بلطفه وتشجيعه، وما استمع قراءتي مرة إلا وأفادني بملاحظة أو توجيه، كما كان مجلسه مجلس علم ومعرفة.

الشيخ محمد الهاجري

(1335هـ – 1425هـ)

وبحمد الله تعالى استمر تواصلي مع أهالي الأحساء الطيبين، وما زلت أتردد على زيارتهم، ويشرفني بعضهم بزيارتي في القطيف، وكثيراً ما ألتقي بإخوة من الأحساء لا زالوا يحتفظون بقصص وذكريات عن تلك الرحلات الأولى.

وكنت أتردد على المكتبة القطرية في الصالحية بالهفوف، وهي مكتبة عامة أسّسها أمير قطر آنذاك الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، وكان يديرها رجل فاضل خلوق هو الشيخ يوسف بن راشد آل الشيخ مبارك، وتضم كتباً ومصادر في مختلف مجالات المعرفة والأدب، فكنت أقضي فيها بعض الساعات للمطالعة، وفي كل زيارة كان الشيخ يوسف يهديني بعض الكتب الأدبية التي كانت تطبع على نفقة أمير قطر، تشجيعاً لي على زيارة المكتبة، وما زلت أحتفظ ببعضها ككتاب (روض الخل والخليل ديوان السيد عبدالجليل) بن السيد ياسين صفي الدين (١١٩٠هـ ـ ١٢٧٠هـ)، و(ديوان أبي الحسن التهامي) توفي ٤١٦هـ. وتاريخ الإهداء على الكتابين من المكتبة القطرية هو ١٣٨٩/٦/٢٧هـ. وكتاب (أمارة قطر العربية بين الماضي والحاضر) تأليف محمد شريف الشيباني وتاريخ الإهداء ١٣٨٩/٤/٢٤هـ.

وفي إحدى رحلاتي للأحساء بتاريخ ١٣٩١/٢/٣هـ ومن قرية الفضول

كتبت لوالدي الرسالة التالية منظومة على شكل أرجوزة:

أبدأ باسم الخالق الرباني مصلياً على النبي العدناني
وآله وصحبه الأطهار من حبهم يطفي لهيب النار
وبعد أني رافع رسالة لوالدي معتقداً إجلاله
وهو العطوف الشاعر الأديب من قد نماه نسب نجيب
موسى أبوه شيخنا الرضيّ من علمه وفضله جليّ
من بعد ما وافى لنا كتابه عن عطفه وحبه إعرابه
يخبرنا بصحة الأحباب في أسطر قد أوجبت إعجابي
وثم يدعونا لننزل الوطن بعدوفاةالمجتبىالسبطالحسن

*****

يا والدي إن الكتاب وصلا إليكم وقبّل الأناملا
فاعلم فهذا ابنك (المقصر) في نعم من ربه لا تحصر
فهو بصحة مع ارتياح في سيره برفقة النجاح
مستأنساً إذ صاحب الكريما من في الملا يدعى بإبراهيم[1]
أستاذنا وشيخنا الجليل وهو الذي في خلقه نبيل

*****

وإنني أثني على العظيم أتاح لي شهادة التطعيم[2]
بلا كلافة ولا سآمة فالحمد لله على السلامة
وبعد ذا أرجو الدعاء منكم يا من به فيّ الإله يُنعم

.....

(١)الشيخ إبراهيم بن عبدالله الغراش.

(٢) كانت فترة انتشار للكوليرا ومنع فيها التنقل بين الأحساء والدمام وكان الحصول على شهادة التطعيم يحتاج وقتاً وجهداً.

وقبل ختم هذه الأرجوزه أبلغ سلامي نفسك العزيزه
وجدتي وأميَ الحنونه وإخوتي وعمتي المصونه
كذا أخواتي وكذاك مهدي ثم شفيق وربيب المهدِ
وشيخنا سعيد العوامي[1] أبلغه عني عاطر السلام
وجملة الأصحاب والأخوان كمثل عبدالله والقطان

*****

ومن معي يبلغكم سلامه الشيخ إبراهيم ذو الشهامة
سيدنا طاهر النجيب وآله ومن لكم حبيب
ثم علي القطان نجل طاهر أم محمد كذا أم ناصر
وإن تناسيت فلست أنسى الشاعر الشعبي على العيسى

*****

والختم صلى ربنا تعالى على الذي شُرف بالرسالة
وآله وصحبه الأطهار من حبهم يطفي لهيب النار

.....

(١)الشيخ سعيد أبو المكارم.

سنة 1392هـ

الهجرة لِلنَّجف الأشْرف

مع بداية سنة ١٣٩١هـ تبلورت الرغبة والإرادة في نفسي للهجرة لطلب العلم والالتحاق بالحوزة العلمية في النجف الأشرف، وكان الوسط الاجتماعي المحيط بي يشجعني على ذلك، كما أن حضوري البحث الفقهي للشيخ عبدالحميد الخطي، ودراستي المحدودة عنده في قطر الندى، وكذلك دراستي للأجرومية على يد الشيخ أحمد بو علي في الأحساء، ثم علاقتي مع الشيخ إبراهيم الغراش العاشق للنحو والمهتم بتشقيقات

وتفاصيل المسائل الفقهية، ففي كل جلسة ولقاء يطرح سؤالاً ولغزاً في النحو أو الفقه، بل وحتى أثناء المشي والسير في الشارع، ويطلب مني مساعدته في القراءة له من الكتب والمصادر؛ لأنه لا يملك إلا شعاعًا من النظر، كل ذلك قربني إلى أجواء الدراسة العلمية الدينية.

لكن الوالد كان يمانع سفري في ذلك السنّ خوفًا وإشفاقًا عليَّ، وحدث أن الشيخ إبراهيم الغراش قرر العودة إلى النجف الأشرف لاستكمال دراسته، بعد انقطاعه عنها لظروف زواجه ووضعه الاقتصادي، وهنا أصبحت لي حجة أقابل بها تحفّظ الوالد، فسأكون في رعاية الشيخ إبراهيم الغراش وبمعيته، فوافق الوالد بعد أن أبدى له الشيخ إبراهيم كامل استعداده لرعايتي وإدارة شؤوني في النجف الأشرف.

وتيسّر السفر إلى العراق بمعية الشيخ إبراهيم وعائلته أواخر شهر المحرم ١٣٩١هـ ورافقني الوالد ليطمئن على ترتيب أمور إقامتي، حيث اتفق مع الشيخ إبراهيم على تأجير منزل يتسع لسكني مع الشيخ إبراهيم وعائلته، وهذا ما حصل في أحد فروع الجهة الغربية من شارع زين العابدين عليه السلام بالنجف الأشرف.

الشيخ إبراهيم بن عبدالله الغراش

(1361هـ - 1436هـ).

بدأت برنامج الدراسة فورًا على يد الشيخ إبراهيم الغراش، ففي كل يوم درسان في النحو ودرسان في الفقه صباحاً وعصرًا، لكي أنهي دراسة قطر الندى، بعد ما أعدت دراسة الآجرومية التي كنت قد درستها سابقًا، ولأنهي في الفقه دراسة الرسالة العملية (منهاج الصالحين) في العبادات والمعاملات.

وكان الشيخ إبراهيم صارماً وجادًّا في الالتزام بموعد الدرس، وغالباً ما يزيد وقت الدرس على ساعة كاملة، وفي كل يوم يتابع معي درس اليوم السابق، وكنت أرغب أن تكون لي دروس أخرى لكن الشيخ إبراهيم كان مخالفًا لزيادة عدد الدروس فهو يراها تكون على حساب التركيز والاستيعاب.

وإلى جانب الدروس كان هناك برنامج للمطالعة والقراءة، وهو قسمان: يرتبط القسم الأول بالمطالعات التي تخصني لمراجعة دروسي، ولقراءة الكتب العامة التي كنت أشتريها من المكتبات وكان يغريني بالشراء قلة ثمنها قياسًا إلى أسعار الكتب في القطيف.

أما القسم الثاني من برنامج المطالعة والقراءة، فكان يرتبط بحاجة الأستاذ الشيخ إبراهيم، حيث كان يعتمد عليَّ في قراءة دروسه وسائر مطالعاته لعدم قدرته على القراءة والكتابة لضعف بصره.

وكان للشيخ إبراهيم درس في (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لابن هشام عند الشيخ منصور البيات، وهو الآخر كفيف البصر، فكنت أقرأ في الكتاب لهما ليشرح الشيخ منصور الدرس، وكنت أهضم معظم المادة وأستوعبها. كما كنت أرافق الشيخ إبراهيم في دروسه لحاشية الملا عبدالله على تهذيب المنطق للتفتازاني، على يد الشيخ عبدالحسين آل صادق من أبرز علماء النبطية في لبنان.

مع الشيخ أحمد آل سيف

وفي أيام التعطيل كالخميس والجمعة وأيام المناسبات الدينية، كانت تحصل زيارات بين الطلبة والمشايخ، وهناك مجالس قراءات يجتمعون فيها. فكنت أصحب الشيخ إبراهيم إليها، وكانت في الغالب في إطار الطلبة الخليجيين من الأحساء والقطيف والبحرين. ويحضرها أحيانًا بعض الطلبة والمشايخ الآخرين. كما هو الحال في المجلس الأسبوعي للشيخ منصور البيات، ومجلس الشيخ أحمد آل سيف.

اكتسبت من الشيخ الغراش عشق اللغة، والدقة في مراعاة القواعد النحوية عند التحدّث والخطاب، حيث كان شديد الملاحظة والاهتمام في هذا الجانب، ليربي تلامذته والمحيطين به على الالتزام بما يدرسونه من قواعد النحو، في كلامهم وحديثهم الخاص والعام.

وحين كنت أقرأ عليه ما يحتاج من الكتب في دراسته وتحضيره، كان يوقفني عند كلّ كلمة أخطئ في تشكيلها ونطقها بشكل صحيح، ويمتحنني في إعراب بعض الكلمات والجمل، فكانت استفادتي منه في هذا المجال كبيرة لا تقدّر بثمن.

وهكذا كانت فرصتي منه كبيرة للاستفادة من اهتمامه وتضلّعه في النحو وعلوم اللغة العربية.

وكان الأستاذ الغراش عاشقًا للشعر والأدب الكلاسيكي، فكان يطرب لشعر المتنبي، ويتغنّى بشعر أبي فراس الحمداني، ويلهج بروائع الشعر الحسيني وخاصة من قصائد السيد حيدر الحلي والسيد جعفر الحلي.

كما كان مغرمًا بشعر إيليا أبي ماضي وخاصة (الطلاسم)، التي كان يحفظها عن ظهر قلب، إعجابًا منه بمستواها الأدبي، ومحتواها الفلسفي المثير للأذهان، حيث يناقش ويرد على بعض التساؤلات والإشكالات التي تثيرها.

أما ألفية ابن مالك فهي حاضرة دائمًا وأبدًا في ذهنه وعلى لسانه، يستشهد بمقاطعها عند كلّ مسألة نحوية.

وهكذا توثقت علاقتي بالشعر والأدب، ونمت لديّ ذائقته والاهتمام به، من خلال صحبتي للشيخ الأستاذ.

وهكذا انتهت السنة الدراسية الأولى في النجف الأشرف، وعدت إلى القطيف لقراءة موسمي شهر رمضان وعشرة المحرم. وهنا تحدثت مع والدي بأنني أشعر بالحرج من البقاء مع الشيخ إبراهيم في منزل واحد؛ لأن في ذلك مزاحمة لعائلته وكلفة عليهم، فوافق الوالد على استقلالي عندما أعود للسنة الثانية، فقد اطمأن الوالد على أوضاعي بعد تجربة السنة الأولى.

فعزمت على العودة إلى النجف أواخر شهر المحرم سنة ١٣٩٢هـ، وكان الملا عبدالمحسن النصر من سيهات عازمًا على السفر أيضًا للزيارة، ولكنه سيمكث أولاً في الكويت بضعة أيام، وشجعني على مرافقته للتعرف على الأجواء في الكويت، فارتحت لهذا الاقتراح، وسافرت معه إلى الكويت،

وهناك تعرّف عليَّ جماعة الشيخ الميرزا حسن الحائري من الأحسائيين، ودعوني للقراءة في الحسينية الجعفرية وسائر الحسينيات، واستمرت قراءتي إلى ما بعد العشرين من شهر صفر، وسأتحدث لاحقًا عن هذه التجربة الثريّة.

وحينما أردت السفر إلى النجف الأشرف، تفضل الشيخ الميرزا حسن بتكليف الحاج إسماعيل الشيخ والحاج محمد السلمان من أعضاء إدارة الجماعة الأحسائية، بأن يرافقاني إلى النجف ويهيئا لي غرفة للسكن على حسابه في فندق النجف، الذي يسكنه الزائرون من جماعتهم عادة، وهو ملاصق للحضرة العلوية من جهة باب الطوسي، وصاحبه السيد حسن زوين. وهذا ما كفاني عناء البحث عن غرفة في إحدى المدارس المخصصة لسكن الطلاب، كما أن خدمات الفندق وإن كانت محدودة آنذاك تجعل السكن فيه أكثر راحة من السكن في المدرسة.

سنة 1391هـ

والمهم في الأمر أني في هذا العام شعرت باستقلالية واعتماد على الذات وحرية في الحركة، مع استمرار دراستي على يد الأستاذ الشيخ إبراهيم الغراش، كما بدأت في حضور درس للشيخ علي المرهون في مسجد الطوسي في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، كان يحضره عدد من الطلبة، وطلبت من الشيخ عبدالحسين بن الشيخ جعفر آل صادق درسًا في شرائع الإسلام للمحقّق الحلي وهو مدرس قدير استفدت كثيرًا من درسه.

وهكذا استمريت للعام الدراسي الثاني، وكانت فرصتي فيه للمطالعة أوفر، وحركتي الاجتماعية أكثر، حيث كنت أتردد على مجلس الشيخ عبدالله الخنيزي، وزيارة السيد حسن بن السيد باقر العوامي، وكانا مقيمين تلك السنوات في النجف الأشرف لظروف سياسية اقتضت هجرتهما من البلد. كما كنت أزور بعض الطلبة من سلطنة عمان والبحرين إضافة إلى الطلبة الأحسائيين والقطيفيين.

وبعض الأحيان كنت أحضر مجالس بعض المراجع كمجلس السيد الخوئي (١٣١٧هـ ـ١٤١٣هـ)، ومجلس السيد محمود الشاهرودي(١٣٠١هـ ـ ١٣٩٤هـ)، ومجلس السيد محمد باقر الصدر (١٣٥٣هـ ـ١٤٠٠هـ) ومجلس الشيخ علي كاشف الغطاء (١٣٣١هـ ١٤١١هـ)، ومجلس الشيخ محمد أمين زين الدين (١٣٣٣هـ ـ ١٤١٩هـ) وهي مفتوحة يستقبل فيها المراجع المستفتين والزائرين في ساعات محددة كل يوم، وتلقى فيها الخطابات في المناسبات الدينية.

الشيخ علي كاشف الغطاء

ومن المجالس التي كنت آنس بها وأرتاح إليها في النجف الأشرف مجلس الشيخ علي كاشف الغطاء، فهو ذهنية علمية وقادة، ومهتم بالانفتاح على الساحة العربية والإسلامية، وله تواصل مع المؤسسات الدينية الرسمية في العالم الإسلامي، كالأزهر الشريف، ومع عدد من الحكومات، فكنت أسمع منه كثيراً من القصص عن علاقاته وتواصله، ولأن هناك علاقة قديمة بين مراجع بيت كاشف الغطاء وأسرتنا (الصفار) حيث كان الجد الشيخ رضي الصفار وكيلاً للشيخ أحمد كاشف الغطاء (١٢٩٥هـ ـ ١٣٤٤هـ)، ثم للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (١٢٩٤هـ ـ١٣٧٣هـ)، فقد استمرت العلاقة بين الشيخ علي كاشف الغطاء ورجالات الأسرة، ومنهم والدي ومن هنا كان الشيخ علي يبدي اهتماماً خاصاً بزيارتي له ويؤكد استعداده لمساعدتي فيما أحتاج.

لكن الجو العام في الحوزة آنذاك كان متحفظًا تجاه شخصية الشيخ علي كاشف الغطاء، بسبب تواصله مع السلطات العراقية، وكان يراه مفيداً لمعالجة بعض المشكلات، كما يرى أن الصدام مع السلطة أو مقاطعتها ليس في صالح الشيعة والحوزة العلمية.

السيد حسن القبانجي

كما كنت أتردد على زيارة الخطيب الباحث السيد حسن القبانجي في مكتبته، وأرتاح كثيراً للجلوس معه، وسماع أحاديثه التربوية النافعة، وكنت أستمع إلى خطابته حينما زار القطيف، كما استفدت من مؤلفاته كـ (شرح رسالة الحقوق) و(الجواهر الروحية).

وقد زرت الإمام الخميني في مجلسه مرتين بصحبة الشيخ عبدالجليل

بن مرهون الماء من تاروت الذي كان يوفر لي بعض المطبوعات الصادرة عن الإمام الخميني كأجزاء ولاية الفقيه الذي طبع فيما بعد باسم (الحكومة الإسلامية) وكتاب (الجهاد الأكبر جهاد النفس).

كما تعرفت في النجف بشكل مباشر على الشخصيات العلمية والأدبية التي كنت أسمع عنها وأقرأ لها، كالعالم الباحث الشيخ أسد حيدر، وكنت قرأت كتابه القيم (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) في ستة أجزاء وأعجبت به واستفدت منه. والعالم المؤلف الشيخ باقر شريف القرشي صاحب المؤلفات الكثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. والخطيب الشهير الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، والخطيب المعروف السيد جواد شبر، وغيرهم من الشخصيات العلمية والمنبرية. كما صرت أتردد على المكتبات العامة للمطالعة فيها، كمكتبة أمير المؤمنين، ومكتبة الإمام الحكيم. وحضرت بعض الاحتفالات والمهرجانات الدينية والأدبية، وكانت قد ضعفت وتقلصت تلك الفترة بسبب الضغوط الأمنية.

الشيخ أسد حيدر

وفي النجف وعيت معركة الإسلام مع الاتجاهات المناوئة كالشيوعية، والصراع مع البعثيين والقوميين، ولم أكن في القطيف قبل هجرتي إلى النجف منفتحاً على هذه الآفاق؛ لأني كنت أعيش جواً تقليدياً محافظاً.

أما في النجف فقد قرأت باهتمام كتابي السيد محمد باقر الصدر (فلسفتنا) و (اقتصادنا)، وتابعت قراءة أعداد مجلة (الأضواء) التي كانت تصدرها جماعة العلماء، كما شدتني كتابات الشيخ محمد أمين زين الدين (إلى الطليعة المؤمنة) و (الإسلام ينابيعه غاياته) و(العفاف بين السلب والإيجاب)، ومن خلال ما كنت أسمعه في اللقاءات والجلسات، وما لحظته من ضغوط على الحوزة العلمية والحالة الدينية من قبل البعث الحاكم في العراق، توضحت أبعاد معركة الإسلام مع الاتجاهات الأخرى إلى حدٍّ لم أكن أدركه سابقاً.

الأجواء الروحانية

كانت الأجواء الروحانية في النجف الأشرف جاذبة ملهمة، خاصة في السنة الثانية، حيث أقمت في فندق الكويت الملاصق لمشهد الإمام علي عليه السلام، وكنت أنام ليلاً على سطح الفندق بالقرب من القبة الشريفة، فزيارة أمير المؤمنين عليه السلام برنامج يومي، وقراءة دعاء كميل والزيارة الجامعة من ثوابت برنامج ليلة الجمعة في الحضرة العلوية، حيث جموع الداعين والمبتهلين إلى الله سبحانه وتعالى، وكذلك حضور قراءة دعاء الندبة صباح الجمعة في منزل الشيخ منصور البيات، الذي كان بتفاعله وبكائه يضفي على المجلس جوًّا روحانياً ولائياً خاصاً.

الشيخ منصور البيات

وصلاة الجماعة مع السيد الخوئي في مسجد الخضراء أو مع السيد يوسف الحكيم في الصحن العلوي الشريف. والذهاب إلى مسجد السهلة في الكوفة ليلة الأربعاء في معظم الأسابيع، وكذلك الذهاب إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في بعض ليالي الجمع، حيث نذهب عصر الخميس في الباص ونعود بعد الزيارة ليلاً. وما أزال إلى الآن أستحضر في نفسي طعم تلك الأجواء الروحانية المميزة، التي أنعم الله عليَّ أن أعيشها في مقتبل شبابي وعمري، أسأل الله التوفيق وحسن العاقبة.

سنة 1392هـ

مُرورًا بِالكُويتِ

أشرت إلى أني حين عزمت على العودة للنجف الأشرف بعد انتهاء موسم المحرم ١٣٩٢هـ رافقت الملا عبدالمحسن في السفر إلى العراق، على أن نمر بالكويت لبضعة أيام ليقرأ في الحسينية الجعفرية التي كانت تستقبل الخطباء الوافدين من مختلف المناطق، وتعطي كل واحد منهم الفرصة لقراءة عدد من المجالس في مجلسها الرسمي اليومي صباحًا طوال السنة، أو في مجلسها المسائي ليلاً لشهري محرم وصفر.

حضرت مع الملا عبدالمحسن في الليلة الأولى لقراءته في الحسينية الجعفرية، في بداية

شهر صفر، وأذكر أن المجلس كان في ساحة الحسينية المفتوحة، في المبنى القديم للحسينية في منطقة شرق قرب دروازة عبدالرزاق.

وكان المتصدي لإدارة الحسينية الحاج عبدالرسول الجعفر، فلما رآني مع الملا عبدالمحسن وأنا أرتدي البشت والغترة، وفق زي الملالي والخطباء، ظن أني ولده أو صانع معه، أقرأ له في المقدمة (حسب المصطلح) فقلت له: إني خطيب مستقل، فاستكثر عليَّ هذه الكلمة، وقال على طريقة الممالحة الاستفزازية: الله الله مستقل! قم واقرأ مقدمة للملا؛ فأثارتني هذه العبارة منه، ورددت عليه: إني ما جئت طالباً للقراءة. فأراد استدراجي أكثر قائلاً: في مجلس الصباح يقرأ عندنا الشيخ الوائلي ألا تقرأ مقدمة للشيخ الوائلي، فأجبته منفعلاً: قلت لك إني ما جئت طالباً للقراءة، ولا أقرأ مقدمة للشيخ الوائلي ولا لغيره فأنا خطيب مستقل. وهنا تدخل الملا عبدالمحسن ليتحدث للحاج عبدالرسول الجعفر والحاضرين في المجلس عني، وعرفني لهم بأن هذا خطيب واعد، وأنه يقرأ مجالس كبيرة في القطيف والأحساء، ويجتمع لاستماعه جمهور حاشد رغم صغر سنه.

وهنا طلب الحاج عبدالرسول من الملا عبدالمحسن أن يسمح أن أقرأ بدلاً عنه في الليلة المقبلة ليسمعوا خطابتي، بالطبع لم يكن لدى الملا عبدالمحسن مانع من قبول هذا الاقتراح، فهو يحبني ويحب لي الخير والتقدم، وشجعني على القراءة في الليلة المقبلة.

وحينما استمعوا قراءتي راقت لهم وأعجبتهم، وكان العامل المثير لهم هو حداثة السنّ، حيث لم يتوقعوا خطابة بهذا المستوى في هذا السنّ، وانهالوا عليَّ بعد القراءة يبدون تشجيعهم وإعجابهم ويسألون الملا عبدالمحسن عن دراستي وعلى يد من تتلمذت في الخطابة؟

ثم توجه إليَّ الحاج عبدالرسول قائلاً: سينتهي مجلس الدكتور الشيخ أحمد الوائلي صباحاً في الحسينية بعد يومين، ونريدك أن تستلم المنبر في الأيام التي تليه، فوافقت على طلبه، وأعلنوا في اليوم التالي: أنه سيكون خطيب الأيام المقبلة فتى صغير السنّ من القطيف، وبدأت القراءة في الحسينية الجعفرية صباحاً حيث الحضور كبير؛ لأنها أيام شهر صفر،

والأيام السابقة كان فارس المنبر هو الشيخ الوائلي بمكانته وشهرته. وبحمد الله فقد أمدني الله بتوفيقه، فكان المجلس موفقاً في انشداد المستمعين للموضوع، وتفاعلهم مع التعزية. فكان ذلك مدخلاً لانفتاحي على تجربة وساحة اجتماعية جديدة.

الحاج محمد أحمد السلمان (يمين) والحاج إسماعيل الشيخ (يسار)

لم يكن باستطاعة الملا عبدالمحسن أن يبقى معي في الكويت مع التزامي بالقراءة، فكيف يتركني ويغادر إلى العراق؟ وهنا بادر الحاج إسماعيل الشيخ والحاج محمد السلمان، وهما ضمن إدارة الجماعة لتطمين الملا عبدالمحسن بأنهم سيستضيفونني في بيوتهم، ويهتمون بكل شؤوني وسيوصلونني بعد ذلك إلى النجف الأشرف بأنفسهم، وبالفعل انتقلت إلى بيت الحاج إسماعيل الشيخ في منطقة المنصورية، وبذل هو والحاج محمد السلمان رحمهما الله لي كل عناية ورعاية.

استمرت قراءتي في الجعفرية لعشرة أيام صباحاً، وكان الجمهور يزيد يوماً بعد آخر، وكان يحضر المجلس عدد من العلماء والخطباء، ضمن برنامج التواصل في الوسط الديني، ولمركزية الحسينية، فمنها يتعرف أصحاب المجالس على الخطباء، لذلك يحرص معظم الخطباء على الحضور، وأذكر بعض من تشرفت بحضورهم لمجلس قراءتي في تلك

الأيام، كآية الله السيد علي شبر، والمرجع السيد محمد الشيرازي، والسيد علي البكاء، (والد الدكتور السيد عدنان البكاء)، والشيخ علي الكوراني، أما المرجع الميرزا حسن الحائري فهو المتصدر للمجلس يومياً، وقد أولاني رعاية كبيرة وغمرني بلطفه وفضله، واقترح عليّ أن أبقى للدراسة في الكويت تحت رعايته، وكذلك طرح عليّ جماعته أن يهيئوا لي منزلاً وأبقى معهم، فاعتذرت برغبتي في إكمال دراستي في النجف الأشرف، فأمرهم الميرزا حسن بمرافقتي إلى النجف وتأمين سكن مناسب لي كما ذكرت ذلك سابقًا، جزاه الله خير الجزاء.

زيارة طهران وتبريز

وقرب شهر رمضان من نفس العام ١٣٩٢هـ وكنت في النجف أستعدّ للعودة للقطيف للقراءة في شهر رمضان، اتصل بي الحاج محمد السلمان والحاج إسماعيل الشيخ من الكويت، وقدّما لي الدعوة للسفر إلى طهران لزيارة الميرزا حسن ومرافقته في العودة الى الكويت، فكانت فرصة لي لأول زيارة لإيران، فجئت إلى الكويت وسافرت مع المجموعة وكانوا أربعة أو خمسة أشخاص، وبقينا في طهران يومين في ضيافة الميرزا حسن، ثم سافرنا إلى تبريز لزيارة نجله الميرزا عبدالرسول، الذي أصبح مرجعاً للجماعة بعد أبيه، رحمهما الله، وعدنا إلى الكويت برفقة الميرزا حسن حيث كان استقباله في المطار حافلاً يليق بمكانته عند جماعته.

زيارة العلويين في سوريا ولبنان

وبعد شهر رمضان دعوني لمرافقة وفد من الجماعة لزيارة العلويين في سوريا ولبنان، من قبل الميرزا حسن لتفقد أوضاعهم والتعرف على أحوالهم، بعد أن جاءه إلى الكويت الشيخ علي عزيز الطرابلسي[1]، والسيد

(١) من مواليد ١٩٥٠م درس في النجف الأشرف وتخرج من كلية الفقه، له عدة مؤلفات مطبوعة.

محمود مرهج الفاطمي[1] من علماء العلويين، يطلبون من الميرزا حسن دعم المشاريع الدينية والاجتماعية للعلويين في سوريا ولبنان، باعتبارهم جزءًا من الشيعة. فأراد الميرزا حسن استجلاء حقيقة الوضع، فشكل وفداً من ستة أو سبعة أشخاص ممن يعتمد عليهم في إدارة جماعته، وأذكر من ضمنهم الحاج إبراهيم طاهر المطوّع، نائب سابق في مجلس الأمة الكويتي، والحاج هلال المطوّع وهو معروف باهتماماته العقدية والولائية ضمن مدرسة الشيخ أحمد زين الدين، والحاج محمد السلمان والحاج إسماعيل الشيخ إبراهيم، ولست متأكداً من بقية الأسماء، فسافرت معهم إلى بيروت أولاً حيث كان في استقبال الوفد الشيخ علي عزيز الطرابلسي وهو منظم البرنامج، وكانت هذه زيارتي الأولى للبنان وسوريا، وسكنا في فندق فخم على الجبل، والتقينا في بيروت الدكتور أسعد علي، وكان حينها أستاذاً في الجامعة في بيروت، وهو أول لقاء لي معه، وقد أهداني كتابه عن أحد الشعراء العرفاء العلويين وعنوان الكتاب (معرفة الله والمكزون السنجاري) وكتباً أخرى، وقد توثقت صلتي به فيما بعد في دمشق، كما التقينا الشهيد السيد حسن الشيرازي لعلاقته بالعلويين، وأهداني بعض كتبه، وتحدث السيد الشيرازي للوفد عن رؤيته لوضع العلويين، وأنه ينبغي الانفتاح عليهم ومساعدتهم لاستعادة هويتهم الدينية الولائية لأهل البيت عليهم السلام، بعد ما عانوا عصوراً من الظلم والحرمان فرض عليهم حالة من الجهل والابتعاد عن المرجعيات الشيعية، فسادت في أوساطهم نزعات الغلو والخرافات، وقدم لأعضاء الوفد كتيباً بعنوان (العلويون شيعة أهل البيت) يحمل توقيع أكثر من ستين عالماً وشخصية منهم تؤكد على انتمائهم لمدرسة أهل البيت ، كما تحدث عن صلته بهم وجهوده في أوساطهم.

.....

(١) (١٩٣٠ـ ٢٠٠٩م) درس في النجف الأشرف، ماجستير في الفقه الإسلامي من الجامعة اليسوعية ببيروت، إمام لجامع الامام علي بن أبي طالب في جبل محسن بطرابلس لبنان، له عدة مؤلفات.

ومن بيروت سافرنا إلى طرابلس واستقبلنا السيد محمود مرهج الفاطمي، وعقد اجتماعاً للوفد في جامع الإمام علي بن أبي طالب، وقمنا بجولة على منطقة العلويين هناك، ومن طرابلس انتقلنا إلى اللاذقية في سوريا، واستقبلنا هناك الشيخ عبدالرحمن الخيّر[1] وهو شيخ وقور ذو ثقافة واسعة ومنطق رصين، وأهداني كتابه (من نداء الإيمان) ، ومن أبرز الشخصيات التي زرناها في اللاذقية الشريف عبدالله بن حسن بن علوي آل الفضل، حفيد فضل باشا أمير ظفار، وينتهي نسبه إلى محمد علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (توفي ١٩٧٥م ـ ١٣٩٥هـ) وهو شخصية مهيبة، له تاريخ في العمل الثقافي والاجتماعي، وقد أصدر مجلة (المرشد العربي) في اللاذقية سنة ١٩٢٩م، وأعطاني بعض أعدادها القديمة، وهو من مؤسسي الجمعية الجعفرية في سوريا سنة ١٩٥٢م، وله مؤلفات مطبوعة، وقد استمعنا منه أحاديث مهمة حول تاريخ العلويين ومعاناتهم وتطلعاتهم على كبر سنه وآلام مرضه.

وزرنا عدداً من مساجد العلويين ومؤسساتهم الاجتماعية، كما زرنا (طرطوس) و (القرداحة) و(جبلة). وهي مناطق جميلة جداً، والتقينا مع شخصيات العلويين في مساجدهم وجمعياتهم، فقابلونا في كل هذه المناطق بحفاوة وترحيب وكرم ضيافة، وكان دوري في كل اجتماع أن ألقي كلمة عن الوفد، أنقل فيها تحيات الميرزا حسن، واهتمامه بأوضاعهم، وتأكيده على التواصل بين المؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام، واستعداده مع جماعته لتقديم ما يمكن من الدعم والمساعدة للمساجد والجمعيات الخيرية والثقافية.

كانت رحلة ممتعة ومفيدة جداً، زرت فيها مناطق ذات جمال خلّاب، وتعرفت على مجتمع جديد وشخصيات مرموقة، ومن التقيناهم من العلويين كانوا يؤكدون على تمسكهم بالإسلام وانتمائهم لأهل البيت عليهم السلام،

(١) (١٩٠٤ ـ ١٩٨٦م) له عدد من الكتب المطبوعة في الفقه والأدب وتاريخ العلويين والتعريف بهم، وله نشاط تربوي واجتماعي واسع، يحظى بمكانة على المستوى الرسمي والشعبي.

ويشكون الظلامات التي وقعت عليهم في سالف الزمان وما عانوه من التهميش والحرمان، وما يواجهونه حاليًا من فتاوى تكفّرهم وتشكّك في دينهم.

وعلى إثر هذه الزيارة وما نقله الوفد للميرزا حسن قدّم لهم مساعدات لبناء المساجد ودعم الجمعيات الخيرية ولبعض العلماء والشخصيات.

الميرزا حسن الحائري (١٣١٨هـ - ١٤٢١هـ)

مع الميرزا حسن الاحقاقي سنة 1392هـ.

توطدت علاقتي مع الجماعة الأحسائية في الكويت، وخاصة مع العضوين المهمين في إدارة الجماعة الحاج إسماعيل الشيخ والحاج محمد السلمان، إضافة إلى عدد من الناشطين في الجماعة من الجيل الثاني مثل الحاج عباس القطان، والأستاذ علي المهدي، والدكتور صالح الصفار، والحاج إبراهيم إسماعيل الشيخ وآخرين، بذلوا لي الكثير من حبهم وإخلاصهم جزاهم الله جميعاً عني خيراً، وقرأت في عدد من حسينياتهم في موسم المحرم وشهر صفر، وخاصة الحسينية الجعفرية وحسينية الزهراء في المنصورية، التي كان مسؤولها الحاج عبدالله الصفار والد الدكتور صالح الصفار.

والجماعة الأحسائية في الكويت معروفون بتماسكهم وتعاونهم والتفافهم حول مرجعيتهم الدينية المتمثلة في الميرزا حسن الحائري، ضمن انتمائهم لمدرسة الشيخ الأوحد الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي، حيث يطلق عليهم الشيخية، ويؤكد علماؤهم على انتهاجهم لمنهج الأصوليين في الجانب الفقهي، وأنهم لا يختلفون عن بقية الشيعة عقدياً الا في الاهتمام بمقامات أهل البيت وفضائلهم، وينكرون تهمة الغلو التي تلصق بهم من مخالفيهم، وسائر التهم الأخرى، كإنكار المعاد والمعراج الجسماني. ويشهد لهم الجميع بالأخلاق الفاضلة والبذل والعطاء، والحرص على الشعائر الدينية كصلاة الجماعة وإقامة المآتم.

وكان للميرزا حسن الحائري دور كبير في إزالة الحواجز وحالات الجفاء والتوتر بين الجماعة وسائر مكونات المجتمع الشيعي، حيث كان يتحلى بالسماحة والمبادرة للتواصل مع الآخرين، ويرفض الدخول في المهاترات والخلافات، ويوجه جماعته للانفتاح والتعاون والتواصل مع جميع المؤمنين.

وقد سمعت منه الكثير من الحديث الصادق في هذه المواضيع في جلساته الخاصة فضلاً عن خطاباته العامة. ورأيته كيف يستقبل من يزوره من العلماء والخطباء والوجهاء من مختلف الأطياف بالكثير من الحفاوة والتقدير، ولم ألحظ ولم أسمع منه أيّ موقف أو كلام سيء عن أحد من المنتمين للوسط الديني. بل كان لا يرد طالب حاجة أو مساعدة منهم.

وقد غمرني بلطفه وعنايته، فكان يشجعني، ويبدي ارتياحه لخطابتي، ويشيد بي كثيراً أمام جماعته، ويأخذني معه وقت تواجدي بالكويت في تلك الفترة إلى بعض زياراته ودعواته، وقد اقترح عليَّ أن يدرّسني في كتاب (المخازن واللمعات والبراهين الساطعة) للشيخ الميرزا حسن الشهير بكوهر (توفي ١٢٦٦هـ) وهو من أبرز تلامذة الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي. ويتضمن الكتاب شرحاً لأفكار وتوجهات الشيخ الأوحد العقدية، فيما يرتبط بالمفاهيم الفلسفية والمنطقية، وبأصول الدين،

ومقامات الأئمة عليهم السلام.

ودراسة هذا الكتاب تنطلق من رؤية الميرزا حسن الحائري إلى ضرورة التعرف على مبادئ الحكمة والمعرفة في منهج أهل البيت عليهم السلام، وليس الاستغراق في دراسة الفلسفة والمنطق اليوناني كما هو سائد في الحوزات العلمية، وقبلت الاقتراح تجاوباً مع رغبته، وللاطلاع على أفق معرفي جديد، وبذاكرتي أن الدرس بدأ بعد عشرة المحرم سنة ١٣٩٣هـ إلى نهاية شهر صفر، أما الوقت فكان قبيل صلاة المغرب حيث يأتي سماحته لإقامة صلاة الجماعة في مسجد الصحاف، قبل ساعة من الغروب، ويستقبلني في مكتب الإدارة، ويشرح الفكرة ثم يقرأ النص من الكتاب، وفي العبارات كثير من المصطلحات الخاصة بمدرسة الشيخ الأوحد، التي لم تكن مألوفة لي، فكنت أستمتع بتفكيك تلك العبارات، والاطلاع على تلك المعاني الجديدة عليَّ. وفي بعض الأيام كان يشاركني في حضور الدرس الحاج هلال المطوّع.

في حفل ميلاد النبي ﷺ في مسجد الإمام الصادق بالكويت عام 1394هـ.

وقد منحني سماحته وكالة وإجازة رواية للحديث بقلمه الشريف، وكتب لي بعض اشعاره وقصائده في أهل البيت عليهم السلام وخطه في الكتابة جميل جدًا، لكنني فقدتها مع مجموعة من الوثائق والأوراق بعد

خروجي من البلد في أحداث محرم ١٤٠٠هـ، وحينما ألفت كتابي (ولكل أمة رسول) فرح به كثيرًا وكتب له مقدمة، وأمر بطباعته باسم مكتبة الإمام الصادق العامة في الكويت التي أنشأها برعايته في مسجد الصحاف، وصدر الكتاب سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

هذه العناية والرعاية من قبله، وما غمرني به من لطف واهتمام حركت مشاعري لنظم مقطوعة من الشعر في الإشادة بخصاله الكريمة وهي من محاولات نظمي القليلة، وألقيتها بعد الصلاة بمحضره ظهر الجمعة ١٣٩٢/٢/١٥هـ الموافق ١٩٧٢/٣/٣١م تحت عنوان: (تعبير عن شعور).

كتاب ولكل أمة رسول

ومنبع العلم ليس يجتازه الفكر
وما للهوى نهيٌ عليه ولا أمر
تولد من قوم كرام وكلهم
تعالى على نهج الهدى لهم الذكر
فموسى أبوه قد علا هامة السهى
وماست سروراً
حيث صار لها الفخر
وذاك أخوه قبله كان فطحلًا
علي ودون العارفين له الصدر
وذا علم لا زال فينا مرفرفاً
ليحيي ذكرى من حوى لهم القبر
له خلقٌ كالأولين من الأولى
بهم تمّ للإسلام في بدئه النصر
له بسمة إن يبدها تبتشر بها
وإن يرها بدر السماء لاختفى البدر
له هيبة تعلوه فرع من الذي

لهيبتـه قِدمًـا غـدا يرجـف الحِجْـر

ونهـر روي إن أتيـت لـورده

إذا شئت شرباً منه ينتابك السكر

وإن أنشـد الشـعر القريـض كأنـه

مليـك معـلى جـاء يخدمـه الشـعر

ولـو جـاء قـرب البحـر ينشـد شـعره

لفـاض لـه شـوقاً إلى شـعره البحـر

ولا حرجـاً حـدث إذا جـاء ذاكـراً

مناقـب قـوم للإلـه هـم السـر

عنيـت بهـم آل النبـي محمـد

وناهيـك في تطهيرهـم نـزل الذكـر

فأسـأل ربـي أن يطيـل لعمـره

فللديـن والإيمـان حقًّـا هـو الذخـر

بحـق إمـام المرسـلين وآلـه

عليهم صلاة الله ما طلع الفجر

السيد الشيرازي (١٣٤٧هـ - ١٤٢٢هـ)

كان أول لقاء لي بالمرجع الراحل السيد محمد الشيرازي في كربلاء منتصف شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٠هـ حينما زرت العراق مع والدي برفقة الخطيب السيد عبدالله بن هاشم بن شرف المير، والخطيب الملا حسين البراهيم، وكنت قد حصلت في القطيف على بعض كتبه، وبعض المطبوعات الصادرة عن المؤسسات التي كان يرعاها في كربلاء، كأعداد سلسلة (القرآن يهدي)،

السيد محمد الشيرازي (1347هـ - 1422هـ).

وسلسلة (منابع الثقافة الإسلامية) وسلسلة (أعلام الشيعة)، وكنت أحرص على اقتناء هذه الكتب وعلى قراءتها، لما تمتاز به من وضوح في طرح القضايا الدينية، ومقاربة للغة الثقافة المعاصرة، ولما تحمله من روح نهضوية دافعة لتحمل المسؤولية تجاه الدين والأمة.

ولما وصلنا كربلاء كنت متعجلاً ومتشوقاً للقاء السيد الشيرازي، وذهبت في اليوم التالي وحدي للبحث عن مكان السيد الشيرازي، خاصة وأن اللقاء به في الصحن الحسيني عند أدائه لصلاة الجماعة صعب جداً لكثرة حشود المصلين خلفه، وكان الوصول إلى مجلسه سهلاً لقربه من العتبة الحسينية، ولأن كل أهالي كربلاء يعرفونه، فلما دخلت على السيد وصافحته بحرارة ورآني أرتدي بشتاً وغترة سألني: من أين وهل أنت طالب علم؟ فأجبته أني من القطيف، وأنا خطيب مبتدئ، فرحب بي وأدناني منه، وشجعني على الدراسة الدينية، وأثار الطموح والتطلع في نفسي للقيام بدور في خدمة الدين والمجتمع، وقدّم لي مجموعة من الكتب، واقترح عليَّ أن أقرأ في اليوم التالي صباحاً الذي يصادف يوم الجمعة في مجلسه، وأن أدعو والدي ورفقاءه للحضور معي، وجاؤوا معي بالفعل الوالد والسيد عبدالله المير والملا حسين البراهيم، فكان استقبال السيد الشيرازي حفيًّا، والمجلس ممتلئ بالحضور ومعظمهم من رجال الدين وطلبة العلوم الدينية، وعدد من الشباب، وارتقيت المنبر فلما أنهيت القراءة شجعني السيد كثيراً، والتفت إلى والدي مهنئاً ومبشراً له بأن لابنك مستقبلاً مشرقاً فلا تتأخر عن توجيهه لطلب العلم، وقدّم مجموعة من الكتب لكل من الوالد والسيد عبدالله والملا حسين. فخرجنا جميعاً من زيارة السيد الشيرازي منبهرين بأخلاقه، معجبين بشخصيته، وقبل السفر من كربلاء زرته أيضاً، وفي كل زيارة كنت أشعر بالاقتراب منه أكثر، كما تعرفت على عدد من تلامذته والمتواجدين في مجلسه، فبعضهم كان ينتحي بي جانباً ليبدأ معي حديثاً تشجيعياً وتوعوياً، وقد وجدت هذه الميزة عند السيد الشيرازي وجماعته، حيث يبدون اهتماماً بالزائر، ويسألونه عن اسمه ووضعه وأحوال بلده، ويشعرونه بالاحترام والتقدير، ويتحدثون معه بما يناسب استيعابه ومكانته، ويقدمون له الكتب، ويدعونه إلى تكرار الزيارة،

وقد يبادلونه الزيارة، ولم أجدها في بيوت المراجع والعلماء الذين زرناهم في تلك الرحلة.

وحينما أقمت في النجف الأشرف للدراسة سنة ١٣٩١هـ، كان السيد الشيرازي قد غادر إلى الكويت، لكنني كنت أزور مجلسه في كربلاء أحياناً عندما أتوفق لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وكان عامراً بمن تبقى من جماعته وتلامذته ضمن وضع أمني حذر.

لذلك كنت متشوقاً لزيارة السيد الشيرازي في الكويت، وهو أحد أسباب موافقتي لمرافقة الملا عبدالمحسن النصر للمرور بالكويت، والبقاء فيها أياماً في طريق السفر إلى النجف الأشرف بداية شهر صفر ١٣٩٢هـ.

وفي اليوم الأول لوصولي إلى الكويت ذهبت لزيارة السيد الشيرازي في مجلسه بمنطقة (بنيد القار) حيث كان يستقبل الزائرين في مجلس المدرسة (مدرسة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله) قبل أن تُهيّأ له ديوانية بجوار المسجد.

واستقبلني وجماعته بحفاوة مستذكرين زيارتي قبل سنتين إلى كربلاء، ثم حضر السيد الشيرازي أحد الأيام لمجلس قراءتي في الحسينية الجعفرية، وتكررت زيارتي له أيام بقائي في الكويت، وفي الرحلات التالية لقراءة موسم المحرم وشهر صفر، وتوثقت علاقتي بعدد من العلماء في مدرسته وخاصة سماحة السيد محمد تقي المدرسي والشيخ صاحب الصادق، حيث تعددت اللقاءات والجلسات مع السيد المدرسي، واللقاءات الأكثر كانت مع الشيخ صاحب الصادق الذي ارتبطت معه ارتباطاً وثيقاً، كان يقترح عليّ قراءة بعض الكتب، ويناقش معي كثيراً من الأفكار حول واقع الأمة وسبل الحركة والنهوض.

وحين عزمت على الالتحاق بالحوزة العلمية في قم سنة ١٣٩٣هـ طلب الشيخ صاحب من أخويه هناك مهدي وحسن أن يساعداني في ترتيب أمور اقامتي، كما طلب من الشيخ صادق العبادي الاهتمام بأوضاعي وشؤوني، وهو من الكربلائيين المهجرين، وله دور أساس في النشاط الحركي والثقافي في أوساط الكربلائيين في قم.

الشيخ علي الكوراني

كنت أسمع عن سماحة الشيخ علي الكوراني كعالم بارز في الساحة الكويتية، منفتح على الشباب، وله مشروع حركي اجتماعي، واستمعت إلى بعض محاضراته المسجلة كما قرأت بعض كتاباته، ووجدت في محاضراته وكتاباته ما أستفيد منه من أفكار رسالية وثقافة تنويرية. فكنت أرغب في لقائه، وجاء الحسينية الجعفرية أحد الأيام التي كنت أقرأ فيها، فاستقبلني بعد القراءة بحفاوة، وأبدى ارتياحه لأسلوب خطابتي، فأبديت له رغبتي في لقائه، واتفقنا على اللقاء في اليوم التالي.

الشيخ علي الكوراني

يلقي خطاباً في جامع النقي بالكويت

زرته في منزله الملحق بمسجد النقي في الدسمة، وطال اللقاء معه، حيث سألني في البدء عن الوضع الديني والاجتماعي في القطيف، فكان مدخلاً للحديث عمّا يواجه الشباب من تحديّات، وعن قصور الخطاب الديني والجهات الدينية عن استيعاب الشباب ومعالجة همومهم ومشاكلهم الفكرية والاجتماعية.

واقترح عليَّ عدداً من الأفكار والمواضيع التي يرى أهمية طرحها عبر المنبر الحسيني، ثم أبدى استعداده لاستقبالي في أي يوم شئت.

وبالفعل تكررت زياراتي له، واستفدت كثيراً من أفكاره، وتناولت في خطاباتي بعض الأفكار والمواضيع التي كان يطرحها في لقاءاتي به، وقد أهداني بعض كتبه ومنها كتابه القيّم (فلسفة الصلاة). واقترح عليَّ زيارة جمعية الثقافة الاجتماعية، فحضرت إحدى الندوات، وفيها تعرفت على الدكتور عبدالمحسن جمال، لكن وقت الزيارة كان محدوداً، فلم تتح لي فرصة التعرّف على برامج الجمعية ونشاطاتها.

وكان للشيخ الكوراني آنذاك موقف سلبي حادّ تجاه مرجعية السيد الشيرازي، وأجواء العلاقة بين الجماعتين كانت متوترة، وكنت اسمع مؤخذات كل طرف على الطرف الآخر، دون أن يؤثر ذلك على علاقتي

السيد محمد رضا الكلبايكاني

بالشيخ الكوراني وجماعة السيد الشيرازي.

وفي السنة التالية ١٣٩٣هـ حينما عزمت على الذهاب للدراسة في الحوزة العلمية في قم، شجعني الشيخ الكوراني على ذلك، وكتب لي ثلاث رسائل إحداها لأخيه الشيخ عباس الكوراني، والأخريين للمرجعين السيد محمد كاظم شريعتمداري، والسيد محمد رضا الكلبايكاني، وتتضمن الرسائل الثلاث التعريف والتوصية بي ومساعدتي في ترتيب أمور الإقامة والدراسة.

وهكذا كانت تلك الرحلة إلى الكويت رحلة مباركة، فتحت لي الكثير من نوافذ الخير، وكانت بداية لتواصل مستمر مع الساحة الاجتماعية في الكويت، كسبت فيه كثيراً من الأصدقاء الطيبين، وتعرفت من خلاله على عدد من العلماء، والخطباء، والمثقفين، ورجال الأعمال، والناشطين سياسياً واجتماعياً.

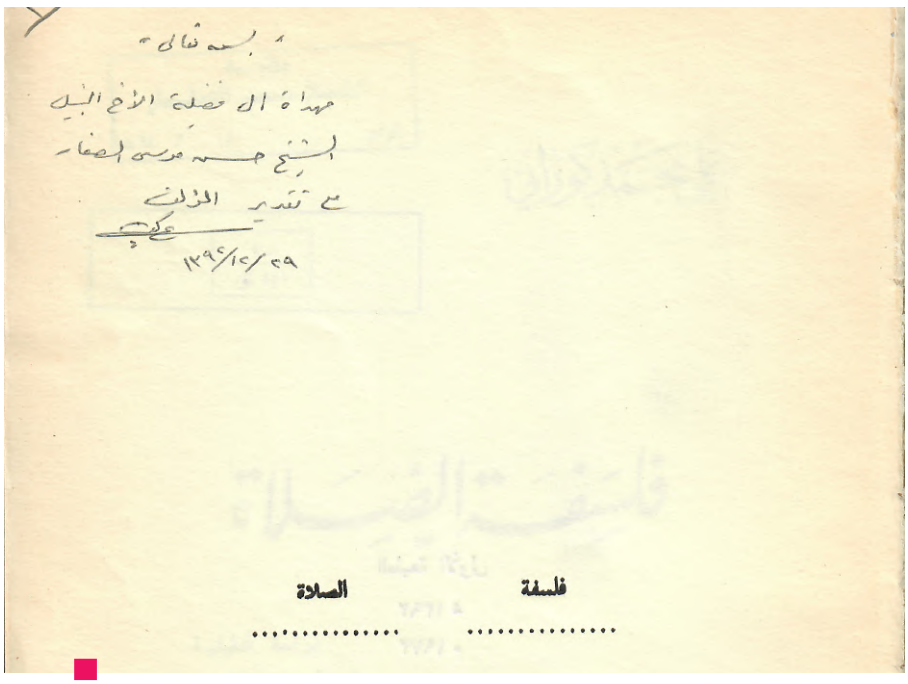

بسم الله الرحمن الرحيم

مهداة الى فضيلة الأخ النبيل
الشيخ حسن موسى الصفار
مع تقدير المؤلف

١٣٩٢/١٢/٢٩

فلسفة .....

الصلاة .....

إهداء الشيخ الكوراني

سنة 1394هـ

الهجرة إلى قُم المقدَّسة

كنت أستعد للعودة إلى النجف الأشرف لمواصلة الدراسة العلمية للسنة الثالثة، بعد إنهاء التزاماتي الخطابية في الكويت لشهري محرم وصفر سنة ١٣٩٣هـ، حيث يبدأ الموسم الدراسي بداية شهر ربيع الأول في الحوزة العلمية التي تكثر فيها التعطيلات بسبب المواسم الدينية لشهر رمضان وشهري محرم وصفر، إضافة إلى أيام الوفيات والمواليد والزيارات والمناسبات المختلفة، فتصل نسبة التعطيلات إلى ما يقارب

ثلثي السنة، وقد لا تتجاوز أيام الدراسة (١٢٠) يومًا، هذا على مستوى الوضع العام في الحوزة، لكن الجادّين في دراستهم يستثمرون أوقات التعطيل بدروس إضافية وببرامج البحث والتثقيف الذاتي.

أما المشتغلون بالخطابة والتبليغ الديني فإن أوقات التعطيل في الحوزة العلمية هي فرصة عملهم الديني الاجتماعي.

ولأني ضمن هذه الشريحة من الطلبة فقد كانت لدي التزامات بالقراءة في الكويت لشهري محرم وصفر، وكنت أخطط للعودة للنجف أواخر شهر صفر.

لكن أحداثاً مؤسفة حصلت في أوساط الطلبة السعوديين والخليجيين في النجف الأشرف قبيل شهر المحرم، بالضبط في أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٩٢هـ، حيث اعتقلت السلطات الأمنية البعثية عدداً من الطلبة القطيفيين والأحسائيين والعمانيين يقاربون العشرين شخصاً بتهم واهية كالعلاقة مع أجهزة المخابرات في بلدانهم، أو الارتباط بأنشطة مناوئة للسلطات البعثية. وبقي بعضهم في الاعتقال لعشرة أشهر، ونال بعضهم تعذيب وتنكيل بشع، ويأتي ذلك ضمن سياق ضغوط السلطات البعثية على الحوزة العلمية في النجف لإخضاعها ومحاصرتها، فقد أبعدت مجموعة كبيرة من العلماء والطلبة العراقيين إلى إيران بحجة أن أصولهم إيرانية، كما اعتقل عدد من الطلاب اللبنانيين مما أدى إلى تقلص وجودهم في النجف. ووصلت الدائرة إلى الطلاب الخليجيين.

هذه الأحداث المؤسفة جعلتني أعيد النظر في قرار العودة إلى النجف، ودفعتني للبحث عن مكان آخر لمواصلة الدراسة، فشجعني بعض العلماء على الالتحاق بالحوزة العلمية في قم، وممن شجعني سماحة الشيخ علي الكوراني، الذي حدثني عن وجود تجمع من الطلبة العراقيين واللبنانيين في قم ممن غادروا النجف أو أبعدوا منها وكتب لي رسائل توصية إلى هناك.

وهكذا عزمت على الهجرة إلى قم لخوض تجربة جديدة، وسافرت أواخر شهر صفر سنة ١٣٩٣هـ من الكويت إلى قم، وقد رافقني بعض الأخوة

الكويتيين جزاهم الله خيراً لمساعدتي على ترتيب أموري في المهجر الجديد.

الشيخ سعيد المدلوح

وكان قد استقر في قم الشيخ سعيد المدلوح (١٣٦١هـ ـ ١٤٣٥هـ) من سيهات بعد أن ترك النجف سنة ١٣٩١هـ، وزوجته قد أبعدت عائلتها من النجف لأن أصولهم إيرانية، فكان ذلك مشجّعاً له للبقاء في قم بالقرب من عائلة زوجته ومواصلة دراسته هناك وقد اكتسب اللغة الفارسية، ولي به معرفة وصداقة حيث كنت أزوره حينما يعود إلى بلده سيهات أيام دراسته في النجف.

فلما التقيته في قم أصرّ على استضافتي في منزله في (كذرخان) إلى أن يتهيأ لي سكن مناسب. وعاد الأخوة الكويتيون إلى بلدهم بعد أن اطمأنوا على وضعي في ضيافة الشيخ سعيد المدلوح.

بدأت سريعاً في إجراءات الالتحاق بالحوزة العلمية وترتيب شؤون السكن والدراسة، وكانت للشيخ سعيد المدلوح صلة ببيتي المرجعين البارزين السيد محمد كاظم شريعتمداري والسيد محمد رضا الكلبايكاني، فذهبت معه لزيارة المرجعين وقدمت لكل منهما رسالة سماحة الشيخ علي الكوراني، فأبديا اهتماماً بالرسالة واستعداداً لتقديم ما يلزم من مساعدة.

السيد شريعتمداري (١٩٠٥ - ١٩٨٦م)

السيد محمد كاظم شريعتمداري

لكن السيد شريعتمداري أبدى اهتماماً أكبر، فقد قرأ الرسالة فوراً، وسأل عن أوضاع الشيخ الكوراني ونشاطه، ولفت نظره ثناء الشيخ الكوراني عليّ في رسالته وأنني صاحب كفاءة خطابية متميزة، فأقبل عليّ يحادثني حول أهمية الخطابة ودورها في إصلاح

وتوعية المجتمع ، وسألني: كيف بدأت ممارسة الخطابة؟ فأجبته فأبدى ارتياحاً وإعجاباً وطلب مني أن ألقي خطاباً صباح يوم الجمعة القادم في مجلسه حسب برنامجه الأسبوعي. فاعتذرت إليه بأن الحاضرين في مجلسكم يستمعون إلى الخطابة الفارسية، وأنا قراءتي باللغة العربية، فقال: إن الحاضرين من العلماء والطلبة وهم يفهمون اللغة العربية، وأكّد عليّ الشيخ سعيد المدلوح أن أقبل هذه الدعوة الكريمة.

وفي صباح يوم الجمعة المقرر جئت بصحبة الشيخ سعيد المدلوح إلى مجلس السيد شريعتمداري، وكان ممتلئاً بالحاضرين، وارتقيت المنبر وكنت غير معمم بل ارتدي البشت والغترة، لأني اقتصرت على اعتمار العمامة في النجف الأشرف فقط، استجابة لرأي الشيخ إبراهيم الغراش، وتشجيع الشيخ فرج العمران، كما أسلفت، أما حينما أغادر النجف فكنت لا أعتمر العمامة. وكان يفترض أن أعتمر العمامة في قم كما هو الحال في النجف، لكني رأيت أن اعتمار العمامة في قم يسبب لي نوعاً من الإحراج لعدم معرفتي باللغة الفارسية، فحين أكون معمماً يتعامل معي الإيرانيون بلغتهم على أساس أني أحد الطلبة منهم، أما بالزيّ العربي فيعرفون أني لست إيرانياً.

كان الموضوع الذي طرحته في خطابي يدور حول ما تعيشه مجتمعاتنا الإسلامية من تناقض بين ما تؤمن به من قيم ومبادئ يفترض أن ترتقي بها إلى أعلى مستويات الحضارة والتقدم، وبين ما تعيشه من واقع متخلف فاسد يجعلها في أدنى المراتب بين المجتمعات والأمم. مع ذكر بعض الشواهد والأرقام.

شعرت بانشداد الحاضرين للموضوع وتفاعلهم معه، واستمريت في الإلقاء لأكثر من أربعين دقيقة، وختمت بتعزية مختصرة. بعدها استقبلني السيد شريعتمداري بحفاوة وأثنى على ما طرحت، والتفّ حولي عدد من العلماء الحاضرين يبدون إعجابهم ورغبتهم في التعرف عليّ.

وكان من بين الحاضرين آية الله السيد أحمد الواحدي الذي استقر فيما بعد في منطقة السيدة زينب بدمشق، والذي بقي المشهد في ذاكرته

وتحدث عنه عدة مرات بعد مرور أكثر من عقد من الزمن. وكذلك حضر عدد ممن أعرفهم من العلماء الكربلائيين كالسيد علي الفالي وآخرين.

ثم قابلني في نفس المجلس الأستاذ أحمد عباسي الذي عرّف نفسه بأنه المسؤول الإداري لدار التبليغ الإسلامي وهو صهر السيد شريعتمداري ومعتمده، وطلب مني لقاءه في اليوم التالي في مكتبه بدار التبليغ لترتيب أمور إقامتي وسكني.

فذهبت إليه بصحبة الشيخ سعيد المدلوح، فاستقبلنا بحفاوة، وأبلغنا بأن السيد شريعتمداري مسرور جداً، وأنه أمره بتهيئة كل ما يلزم لشؤون إقامتي، وقال إنه هيّأ لي سكناً في بيت قريب من مجلس السيد شريعتمداري ومن دار التبليغ، وأخذنا فوراً لرؤية المكان، فوجدته بيتاً نظيفاً يتكون من أربع غرف وفيه سرداب ومطبخ وساحة في وسطها حوض ماء صغير، وقد خصصوا لي غرفة مؤثثة، بينما يسكن ثلاثة من الطلبة الإيرانيين في الغرف الأخرى. ويبدو أنهم من أبناء وكلاء كبار لسماحة السيد شريعتمداري، لذلك خصص لهم سكنًا مميزا، بينما يسكن الطلبة في غرف المدارس الموقوفة لهم. وهكذا انتقلت إلى هذا السكن بعد قضاء بضعة أيام في ضيافة الشيخ سعيد المدلوح بمنزله، جزاه الله خيراً على حسن ضيافته وجميل صحبته، فقد كان لي في قم نعم الصديق الوفي.

وقد احتضن السيد شريعتمداري كثيراً من العلماء والطلبة العرب الذين قصدوا الحوزة العلمية في قم بعد مغادرتهم للنجف، من عراقيين ذوي أصول إيرانية ولبنانيين وخليجيين.

السيد هادي خسروشاهي

وكان السيد شريعتمداري هو المرجع الأبرز آنذاك في قم وعلى الساحة الإيرانية، بعد إبعاد الامام الخميني إلى النجف سنة (١٩٦٥م)، ولم تكن له مشكلة مع الجهات الرسمية لذلك كانت له حرية نسبية في الحركة والعمل وقد أسس (دار التبليغ الإسلامي) لإدارة نشاطه العلمي والثقافي، وتشتمل على مكتبة عامة للمطالعة، وفصول دراسية، وقاعة للمحاضرات، ومكاتب إدارية، وكانت تصدر عنها مجلة (الهادي) باللغة العربية، وكان في هيئة تحريرها السيد هادي خسروشاهي العالم المعروف بثقافته

الواسعة وانفتاحه الفكري، وكان يمثل المؤسسة مشاركاً في المؤتمرات الإسلامية والدولية، وقد أصبح فيما بعد سفيراً للجمهورية الإسلامية في الفاتيكان. ومن ضمن هيئة التحرير والناشطين في المؤسسة سماحة الشيخ محمد علي التسخيري، وهو من تلامذة الشهيد محمد باقر الصدر، وله فضيلة علمية، ومستوى فكري متقدم ودور في الحركة الإسلامية في العراق، وحظي فيما بعد بمكانة لدى قيادة الجمهورية الإسلامية وعيّن أميناً عاماً لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، كما شارك في عدد من المؤتمرات العلمية والفكرية ممثلاً للجمهورية الإسلامية.

كان السيد شريعتمداري متميزاً بين مراجع قم كما بدا لي باهتمامه بالانفتاح على العالم الإسلامي، واستيعاب الكفاءات والطاقات الطموحة في الحوزة العلمية، وقد أدهشني بأخلاقه وتواضعه، ففي أثناء إقامتي في قم جاء والدي ووالدتي وجميع أفراد العائلة للزيارة ولإتمام مراسم زواج أخي الأكبر عبدالكريم، ومعهم زوجته وعائلتها، فذهبت لدعوة السيد شريعتمداري لحضور حفلة الزواج التماساً لدعائه بالبركة وما كنت أتوقع موافقته، لكنه فاجأني بالموافقة فوراً، وحضر وهو المرجع الكبير ذلك الحفل المتواضع الذي أقمناه في ساحة منزل السيد أحمد الفالي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ١٣٩٣هـ وقدّم مبلغاً من المال هدية للعريس الأخ عبدالكريم.

كما لا بد أن أشيد هنا بالعناية والاهتمام الذي أولاني إياه صهره الأستاذ أحمد عباسي.

الدراسة في قم

هيّأت دار التبليغ الإسلامي برنامجاً دراسياً لنا وكنا مجموعة من الطلبة العرب القادمين من النجف، وكانت الدراسة تتم في فصول دراسية وعلى مقاعد مخصصة للدراسة وسبورة ليكتب عليها الأستاذ شرح الدروس، كما هو حال المدارس الرسمية، وهو ما لم نألفه في النجف ضمن الدراسة الحوزوية التقليدية.

وعيّنت لنا مدرساً للغة الفارسية وهو الشيخ عبدالحسين عليزاده، وكان مدرساً لطيفاً وجاداً استفدنا منه كثيراً، وكنا بحاجة إلى معرفة قسط من اللغة الفارسية يمكننا من تمشية أمور حياتنا على الأقل في التعامل مع المحيط الذي نعيش فيه. إضافة إلى سائر الدروس الحوزوية في الفقه والأصول واللغة العربية.

الشيخ حسين العمران

وقد التزمت بحضور درسين في شرح ابن الناظم لالفية ابن مالك، وفي شرائع الإسلام للمحقق الحلي لدى الأستاذ الشيخ حسين العمران، الذي جاء من النجف بعد أن طالته موجة الاعتقالات هناك وبقي معتقلاً لعدة أسابيع، وبعد أن أفرج عنه قرر المجيء إلى قم وبصحبته تلميذاه الفاضلان الشيخ عبدالرسول البيابي والشيخ محسن المعلم.

الشيخ عبدالرسول البيابي

والأستاذ الشيخ حسين العمران ضليع في علوم اللغة العربية ومتمكن في البحث الفقهي، فكان درسه قوياً، وقدرته في البيان وشرح المطلب اللغوي والفقهي عالية، حيث يستطرد في ذكر الشواهد، ويربي الطالب على الذوق الأدبي من خلال تأمله في الشواهد الشعرية في أبواب النحو، كما يجتهد في شرح المسائل الفقهية لتوسعة أفق وذهن الطالب في فهم أبعاد المسألة.

الشيخ محسن المعلم

من أجل إنهاء دراسة كتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي (٦٠٢هـ-٦٧٦هـ)، فكرت ألا أقتصر على درس واحد في الكتاب، وهو درس الأستاذ الشيخ حسين العمران، وإن كان السائد عند معظم طلبة الحوزة الاكتفاء بدرس واحد في المادة العلمية، فصرت أبحث عن مدرس لدراسة جزء آخر من الشرائع، ومن خلال انفتاحي على تجمع الطلبة الكربلائيين، وحضور بعض مجالسهم وجلساتهم، وخاصة في مجلس السيد أحمد الفالي وابنه السيد علي «رحمهما الله»، وكان السيد علي الفالي من أبرز رجالات الكربلائيين نشاطاً وحراكاً دينياً واجتماعيًا. هناك تعرفت على سماحة

السيد علي الحسيني الصدر وهو من فضلاء علمائهم النازحين من كربلاء إلى قم المقدسة ضمن حملات التهجير في تلك السنوات.

وكان قد استمع إلى بعض خطاباتي في مجلس السيد الفالي، وأبدى إعجابه وتشجيعه، وأشار عليّ بعض المشايخ الكربلائيين بالدراسة عنده، وبالفعل طلبت منه الدرس في أحد أجزاء (شرائع الإسلام) فأجاب جزاه الله خيرًا.

السيد علي الحسيني الصدر

فكنت أذهب إلى الدرس عنده في غرفته بمدرسة السيد المرعشي النجفي، واستفدت كثيراً من درسه كما استفدت من توجيهاته وأخلاقه.

وقد شجعني على القراءة في موسوعة (بحار الأنوار) فصرت أستعير أجزاءها من مكتبة (دار التبليغ الإسلامي) جزءً ا بعد جزء، فقرأت عدداً من الأجزاء في تلك السنة، وكنت أسأل سماحته عن بعض ما يشكل عليّ فيما أقرأ، فيجيبني بشرح وتوضيح، وكنت أنقل من البحار ما يهمني في دفتر وضعت له عنواناً هو (مطالعات في بحار الأنوار) لأستفيد منها في خطاباتي ومحاضراتي، وحينما غادرت قم المقدسة، كنت أنهيت ستة عشر جزءاً من البحار، وملأت دفترين مما نقلته منه.

وكما أسلفت فقد كنت أحمل رسالة من الشيخ الكوراني في الكويت لأخويه في الحوزة العلمية في قم الشيخ حسين والشيخ عباس. وسمعت في أوساط الطلبة اللبنانيين والعراقيين إشادة بشخصية الشيخ حسين الكوراني (١٩٥٥-٢٠١٩م) وباهتماماته الفكرية والعرفانية، وقرأت بعض كتاباته المنشورة في مجلة الهادي، لذا طلبت منه درساً في كتاب (فلسفتنا) للشهيد السيد محمد باقر الصدر، وبالفعل بدأت الدرس عنده حيث كنت أقصد منزله عصر كل يوم، وأفادني كثيراً في الجانب الفكري والثقافي، وكان لي نافذة مهمة للاطلاع على أفكار وأجواء الشهيد الصدر وتوجهاته الحركية لقرب الشيخ حسين منها وانتمائه لها. وكان مهتماً بالتركيز على الجانب التربوي والأخلاقي ضمن الدرس.

الشيخ حسين الكوراني والسيد شريعتمداري

الأجواء الثقافية والاجتماعية

خلافاً لما كنت أتوقعه بأني سأفتقد الأجواء الثقافية والاجتماعية في قم بسبب حاجز اللغة، فقد وجدت أمامي أفقاً واسعًا في المجال الثقافي والاجتماعي لوجود جاليات عربية في الحوزة العلمية، وجمهور عربي يتشكّل من المبعدين عن العراق من ذوي الأصول الإيرانية، ويطلق عليهم (المعاودين).

كان وجود ثلة من تلامذة الشهيد محمد باقر الصدر المنتمين إلى مدرسته الفكرية الحركية كالشيخ محمد علي التسخيري، والشيخ محمد سعيد النعماني، والشيخ حسين الكوراني وأمثالهم، دافعًا لخلق أجواء ثقافية في أوساط الطلبة العرب الذين يتطلعون لتجاوز الحالة التقليدية الحوزوية التي تقتصر على الدروس المتعارفة.

مجلة الهادي

ولأن هذه الثلة تستظل بمرجعية السيد شريعتمداري ومؤسسته دار التبليغ الإسلامي، فقد كان ذلك يؤمّن لها غطاءً رسمياً وحوزوياً. ومع وجود عدد من العلماء والطلبة اللبنانيين والعراقيين فقد كانت تعقد اجتماعات في المناسبات الدينية، وتقام ندوات، إضافة إلى تشجيع الكتابة والتأليف من خلال مجلة الهادي وإمكانات النشر في مؤسسة دار التبليغ الإسلامي، وكنت متفاعلاً مع هذه الأجواء.

من جانب آخر فقد انفتحت على تجمع الكربلائيين المقيمين في قم من المنتمين إلى مرجعية السيد محمد الشيرازي، وكنت قد تعرفت على بعض علمائهم وخطبائهم في الكويت، وفي طليعتهم السيد علي الفالي (١٣٦٤هـ - ١٤٠٦هـ) وهو كتلة من النشاط الديني والاجتماعي وذو أريحية وهمة عالية، وقد توفي رحمه الله في حادث سير مؤسف.

الشيخ صاحب الصادق

كما عرفني الأستاذ الشيخ صاحب الصادق المقيم في الكويت في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ على أخويه في قم الأستاذ مهدي والأستاذ حسن شوشتري زاده، وعلى الشيخ صادق العبادي وهو من الحركيين الناشطين في الوسط الكربلائي في قم، وكانت لهم جلسات أسبوعية

للشباب للتدبر في القرآن الكريم، وهو برنامج تربوي توعوي، يتعلم من خلاله الشباب التلاوة الصحيحة لآيات القرآن الكريم، ويتناقشون حول المفاهيم والدلالات للآيات القرآنية، مما يشجع كل فرد على التأمل والتدبر فيما يقرأ من آيات القرآن الحكيم، وتكون الجلسة ملتقًى لتداول الأفكار والأخبار، وكسب الشباب الجدد، ورفد النشاط الديني والاجتماعي. وكنت أحضر بعض تلك الجلسات المفيدة. كما كنت أحضر بعض المجالس التي كانت تقام في المناسبات الدينية لديهم. وتوثقت صلتي بالشيخ صادق العبادي، وكان يزورني باستمرار، وكنت أطلع من خلاله على التوجهات الحركية في الساحة الإيرانية، حيث كان مهتماً بالمواكبة والمتابعة على هذا الصعيد، فقد كان يتحدث لي عن خط الإمام الخميني وعن توجهات الدكتور علي شريعتي والمهندس مهدي بازركان.

كما نشأت لي صداقة مع بعض الطلبة من منطقة عبادان في خوزستان إيران، ومن أبرزهم الشيخ علي بن الشيخ عيسى الطرفي، والشيخ عبدالحسين بن محمد سعيد المنصوري، والشيخ إبراهيم الديراوي، والشيخ أحمد البطران.

وقد سبق لي أن زرت عبادان وكنت في ضيافة العالم الفاضل الشيخ عيسى الطرفي رحمه الله (١٣٣٧هـ ـ ١٤٠٢هـ)، وهو عالم خلوق متواضع جداً وشعبي في علاقته مع الناس، وكان راغباً في تشجيع بعض أبنائه على طلب العلم ، وخاصة ابنه علي وكانت له ميول أدبية في نظم الشعر الشعبي، وطلب مني أن أشجعه على التوجه للحوزة العلمية،، فتحدثت معه وقد وفقه الله تعالى لتحقيق رغبة أبيه، فجاء إلى قم بعد مدة قصيرة من وصولي إليها فكان نعم الصديق والرفيق، كما أني زرت في رحلتي إلى عبادان الخطيب الشاعر الملا محمد سعيد المنصوري، وهو من أهالي قصبة عبادان، وكان قد وصلت إليه تسجيلات قراءاتي في الكويت بواسطة بعض أبناء قريته العاملين في الكويت، فحصلت

الشيخ عيسى الطرفي

بيني وبينه مودة وأنس متبادل من أول لقاء، وكان ابنه عبدالحسين قد بدأ يسلك طريق الخطابة متعلماً على يد أبيه، فشجعته على الالتحاق بالحوز العلمية في قم، وكان قد صاهر الشيخ عيسى الطرفي متزوجًا إحدى بناته، وبحمد الله جاء هو الآخر إلى قم، أما الشيخ إبراهيم الديراوي فكان شاباً شاعراً أديباً محلّقاً وخاصة في الشعر الشعبي، وقد حضرت بعض إلقاءاته في احتفالات في عبادان وكان يهزّ فيها مشاعر جمهور المستمعين، وكان مثقفاً مهتماً بالاطلاع على الآراء والأفكار الجديدة وهو فاقد البصر، فتشجع هو الآخر على الالتحاق بالحوزة العلمية في نفس الفترة، فكانت تنعقد بيننا الجلسات واللقاءات وفكرنا بالقيام بنشاط في الوسط الطلابي، فكانت البداية من اقتراح بإحياء ذكرى وفاة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﵂ في الثالث عشر من شهر جمادى الأولى، وتعهدتُ بإلقاء خطبتها الفدكية كاملة حفظاً عن ظهر قلب، وعرضنا الفكرة على مدير دار التبليغ الإسلامي، السيد أحمد عباسي لتكون في قاعة المؤسسة الرئيسة، فوافق على الفكرة وتبناها، وتم الإعلان عن البرنامج فكان الحضور كثيفاً من العرب والعجم المتلهفين لسماع خطبة الزهراء ﵂ كاملة في ذكرى وفاتها، وقد بهرهم أن يقرأها شاب في السادسة عشر من العمر عن ظهر قلب بتلك الطريقة المؤثرة.

بعد نجاح هذا البرنامج فكرنا في عقد احتفالات في المناسبات القادمة، كميلاد الصديقة الزهراء ﵂ وميلاد الإمام علي ﵇ وسائر المناسبات.

وكان الشيخ علي الطرفي قد استأجر بيتًا ذا طابقين مشتركاً بينه وبين الشيخ حسين العمران وللبيت ساحة خلفية واسعة، فوجدناها مكاناً مناسباً لإقامة الاحتفالات والبرامج، لكن الأستاذ الشيخ حسين كان متحفظاً، من منطلق أننا وافدون غرباء على البلد ولا نعرف معادلاته الأمنية والاجتماعية، فلماذا نورّط أنفسنا في برامج قد تكون لها تداعيات ومضاعفات على الصعيد الأمني أو الاجتماعي؟ ولم يتمكن الشيخ الطرفي شريكه في المنزل من إقناعه. وصادف في تلك الأيام أن جاء للزيارة إلى قم

الأستاذ السيد حسن بن السيد باقر العوامي الأديب والوجيه المعروف، الذي كان مقيماً في النجف الأشرف آنذاك.. فاقترحت على الشيخ الطرفي أن نطلب من السيد حسن العوامي إقناع الأستاذ الشيخ حسين بالموضوع لمكانته عنده، وبالفعل فقد وافق الشيخ حسين، وأقيم الاحتفال الأول بمناسبة ذكرى ميلاد الصديقة الزهراء ﷺ وبحضور الشيخ عيسى الطرفي حيث اعتمر ابنه الشيخ علي العمامة، وكانت المفاجأة أن الأستاذ الشيخ حسين العمران أعدّ قصيدة لإلقائها في الحفل كان مطلعها:

عذبـات أشـجار الثنـاء المتمنـع
وغصـون حقـل المكرمـات الممـرع

ويقول فيها:

يـا أيهـا الحفـل الكريـم تحيـة
مـن شـاعر هجـر القوافـي مبـدع
يحـدوك نحـو البشـريات محفـز
هـو مولـد الزهـراء بأسـعد مطلـع
حفـل مـن الإيمـان يطفـح بالهـدى
في قـادة الشـرع الشـريف الأرفـع

ثم يشير إلى مناسبة اعتمار الشيخ علي الطرفي للعمامة بقوله:

هـذا علـي نجـل عيسـى يرتـدي
هـذا المسـاء عمامـة المتطـوع
غصـن تحـدر عـن كريـم أرومـة
فزكـى بمنبتـه بأصـل مفـرع
هـو فرقـد وأبـوه شـمس هدايـة
أكـرم بهـذا الفرقـد المتشعشـع

فلـك الهنـا عيسـى بنجـم ثاقـب

هـو مـن شـعاع هـداك ألمـع منبـع

وهي منشورة في الجزء الخامس عشر من الأزهار الأرجية ص ٢٤٧، الطبعة الأولى.

كما شارك سماحته بقصيدة أخرى في حفل ميلاد الإمام علي عليه السلام مطلعها:

مـا كنـت أحسـب أن الشـعر قهـار

ولا ظننـت بـأن الهجـر غـرار

وهي منشورة كذلك في نفس الجزء من الأزهار الأرجية.

كانت إقامة هذه الاحتفالات دافعاً لتنشيط الأجواء الأدبية والثقافية في وسطنا الطلابي، وفي كل حفل كنا ندعو سماحة الشيخ محمد علي التسخيري لإلقاء كلمة، فكانت كلماته ذات مضمون فكري تربوي يحفِّز لإعادة قراءة تاريخ الأئمة عليهم السلام وسيرهم بروح رسالية نهضوية، وينتقد الأسلوب السائد في الاكتفاء بعرض قصص المعاجز ومشاهد المآسي في حياتهم عليهم السلام، دون التركيز على أهدافهم السامية ورسالتهم العظيمة.

وكنت أدير برنامج الحفل بإلقاء كلمة الافتتاح، وتقديم المشاركين، وضمن محاولاتي في نظم الشعر نظمت مقطوعتين وألقيتهما في ذكرى ميلاد الإمام علي عليه السلام وذكرى ميلاد الإمام الحسين عليه السلام، في هذا الحفل الذي نقيمه وفي الحفل المقام في منزل السيد علي الفالي. ومن المناسب إيرادهما هنا كجزء من الذكريات:

في ميلاد الإمام علي

قـد غـردت بغصونهـا الأطيـار

وتفتحـت بحقولهـا الأزهـار

والكـون قـد عـم السـرور رحابـه
مـذ أشـرقت للمرتضـى أنـوار
والحفـل في طـرب يميـس بأهلـه
قـد سـاقه نحـو الـولا التيـار
والمجـد رفـرف فـوق بطحـا مكـة
وزعيمهـا قـد سـاده استبشـار
والكعبـة الغـراء صـارت قبلـة
لـمّا بهـا قـد شـرّف الكـرار
أأبـا الحسـين وأنـت أسـمى سـيدي
مـن أن تدانـي شـأوك الأشـعار
مـا القافيـات تجـاه قدسـك مـا الثنا
مـا المـدح مـا الإطـراء مـا الأفـكار
مـولاي إنـي عـن مديحـك عاجـز
أنّـى وفضلـك بحـره مـوّار
فلأنـت نبـراس العدالـة والهـدى
وبصـوت عدلـك غنـت الأوتـار
حـزت الزعامـة في العلـوم جميعهـا
ولـك (اسـألوني) في الحيـاة شـعار
قـد صـرت في أوج اليقيـن محلقًـا
مـا ازددت لـو كشـفت لـك الأسـتار
أأبـا الحسـين فجـد بنظـرة عاطـف
لتـرى فقـد حفـت بنـا الأخطـار

إن اليهـود ومـن محيـت وجودهـم
وأبدتهـم فخلـت لهـم أقطـار
أضحـت تُشـاد لهـم عـلى أنقاضنـا
دول يصـاب بهـا علينـا الثـأر
لـولا الأولى غصبوا الوصي حقوقه
مـا نـال أمـة أحمـد اسـتعمار
لـو قلّد الحكم الوصي لأصبح الـ
إسـلام وهـو المبـدأ القهـار
إن التشـيع شـعلة لا تنطفـي
مـا دام موقدهـا هـو الكـرار
إن التشـيع شـعلة لا تنتهـي
ولهـا الوقـود الشـيعة الأحـرار
فتصفح التاريخ وابحث كي ترى
صفحـات مجـدٍ خطّهـا الثـوار
سـله لمـاذا قـد نُفـي ابـن جنـادة
وحوتـه مـن بعـد الديـار قفـار
مـا بـال مالـك صـار يقـذف قلبـه
وعـلام يصلـب ميثـم التمـار
وبمـرج عـذرا حجـر مـاذا ذنبـه
حتـى قضـى ورفاقـه الأخيـار
سترى الجواب لدى الحقيقة واضحًا
لا ذنـب إلا أنهـم أحـرار

في ميلاد الإمام الحسين

كـم أعانـي مـن عتـاب اللائميـن
حينمـا سـرت بـدرب العاشـقين
وأرادوا اليـأس لـي مـن وصلهـا
قلـت ربـي لا يحـب اليائسـين
فأنـا أرجـو وإن طـال المـدى
ليلـة الوصـل برغـم الحاسـدين
قلـت يـا محبوبتـي مـاذا الجفـا
قلبـك الصلـب أمـا كاد يليـن
فأرحمـي مـن قـد ملكـتِ قلبـه
فغـدا في حبـكِ اليـوم سـجين
حـان وقـت الوصـل يـا محبوبتـي
إن هـذا اليـوم عيـد المغرميـن

*****

فانظـري الكـون زهـت أرجـاؤه
واسـتطار النـور في الأفـق المبيـن
تلـك أشـجار العـلى باسـقة
قـد دنـت أغصانهـا للقاطفيـن
وطيـور المجـد في أغصانهـا
قـد بـدت تشـدوا بلحـن المطربيـن
وورود الحسـن في بهجتهـا
هـي سـحر لعيـون الناظريـن

وكـؤوس الخمـر ديـرت فاعتـرت
نشـوة السـكر جميـع الشـاربين

*****

أقبلـت محبوبتـي تسـألني:
أيّ يـوم ذاك يـا ابـن الأكرميـن؟
فانبـرى الحفـل مجيبـاً إنـه
يـوم ميـلاد إمـام الثائريـن
فـإلى يثـرب أمـلاك السـماء
هبطـت يقدمهـا الـروح الأميـن
تحمـل البشـرى لعليـا جـده
منقـذ الخلـق إمـام المرسـلين
ولصـوت العـدل نبـراس الهـدى
ذروة المجـد أميـر المؤمنيـن
وتهنـي جوهـر القـدس أمـه
فاطمـاً سـت نسـاء العالميـن

*****

يـا أبـا الأحـرار يابـن المرتضـى
أنـت عبّـدت طريـق المصلحيـن
وحميـت الديـن مـن أعدائـه
وفديـت النفـس للشـرع المبيـن
فهـو لـولا ثـورة فجرتهـا
كـرة أضحـت بأيـدي اللاعبيـن

فدمـاء سـفكت في كربـلاء
أصبحـت نـاراً بوجـه المفسـدين
حطمـوا صـدرك لكـن حطمـت
بحنايـاه عـروش الظالميـن
وبقـي صـدرك فينـا منبعـاً
فـاض بالنصـر عـلى مـرّ السـنين
ثـرت للـه وضحيـت لـه
فلـذا صـرت زعيـم الخالديـن
أفيغضـي السـبط عـن مبدئـه
ويزيـد الخمـر والـي المسـلمين

*****

لـو تـرى يـا سـيدي أوضاعنـا
كيـف صرنـا لقمـة للطامعيـن
قـد تفرقنـا وأضحـى جمعنـا
بـددًا بيـن يسـار ويميـن
لعـب الـدولار فينـا دوره
وبـه للغـرب صرنـا خاضعيـن
وإذا شـعب تمنـى ثـورة
خـدّروا أعصابـه بالهيرويـن
وسـلام لـك منـي عاطـر
وعـلى أنصـارك المستشـهدين

أبو الحسن الندوي في قم

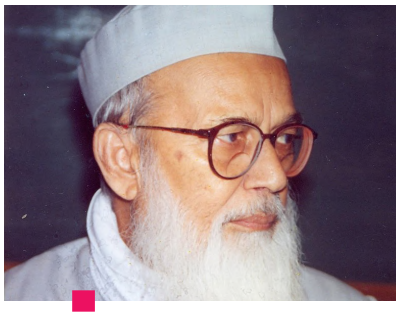

الشيخ أبو الحسن الندوي (1332هـ 1420-هـ).

كان من أروع الأيام وأجمل المشاهد التي عشتها في قم مشهد زيارة العالم الكبير الشيخ أبو الحسن الندوي (١٣٣٢هـ -١٤٢٠هـ) على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي، والشيخ الندوي أبرز عالم للمسلمين في الهند، ويدير مؤسسة علمية دينية هي (دار الندوة) وله شهرة واسعة في العالم الإسلامي، وله عدد من الكتب والمؤلفات منها كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) الذي حقق انتشاراً كبيراً، وحظي باهتمام واسع في ساحة الثقافة الإسلامية المعاصرة.

أما رابطة العالم الإسلامي ومقرها مكة المكرمة، فهي من أقوى المؤسسات الدينية الإسلامية، التي أنشأتها ورعتها المملكة العربية السعودية والجو السائد في المؤسسة هو الحالة السلفية المتحفظة جداً، وخاصة في ذلك الوقت تجاه المسلمين الشيعة، فمجيء وفد من هذه المؤسسة السعودية السلفية إلى الحوزة العلمية في قم أهم مركز شيعي في العالم إلى جانب النجف الأشرف، هو بلا شك حدث مهم واستثنائي، وأن يكون برئاسة الشيخ الندوي وهو قريب من التوجه السلفي أيضاً، فذلك ما يزيد من أهمية الحدث والمشهد.

الأستاذ أحمد محمد جمال (1343هـ ـ 1413هـ).

وكان من أعضاء الوفد الأستاذ أحمد محمد جمال (١٣٤٣هـ ـ ١٤١٣هـ) وهو شخصية سعودية بارزة من مكة المكرمة شغل عدة وظائف حكومية مهمة منها عضوية مجلس الشورى بمكة المكرمة، وله وظائف ومهام أخرى في عدد من المؤسسات الإسلامية كرابطة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي الإسلامي الدولي، ومنظمة الشباب المسلم

العالمية، صدر له ٣٨ مؤلفاً في مختلف ميادين الثقافة الإسلامية.

صحيح أن للعلاقات السياسية بين حكومة الشاه ودول المنطقة دوراً في تحقيق هذه الخطوة، لكن استثمارها والاستفادة من آثارها الإيجابية أمر مطلوب.

كانت مدة بقاء الوفد في إيران عشرة أيام (٩ جمادى الأولى ١٨ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ الموافق ١١ يونيو ٢٠ يونيو ١٩٧٣م) خصص منها يوماً لمدينة قم، كما زار مشهد وأصفهان وشيراز إضافة إلى العاصمة طهران.

ويهمني هنا الحديث عما شهدته من زيارة الوفد إلى قم، فقد أُستقبل الوفد بحفاوة بالغة يقول عنها الشيخ الندوي: (كنا لا ننزل في بلد إلا ويستقبلنا رجال الحكومة وأعيان البلد وعلماؤه الكبار، وقد رأينا كبار المسؤولين وبعض العلماء المشهورين واقفين على حافة الطريق في الشمس لاستقبالنا، ونحن متوجهون إلى قم، وقد تأخرنا في الوصول، هذا ما شهدناه ولمسناه في هذه الزيارة القصيرة). وزار الوفد مرقد السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وكانت إشارة اعتدال إيجابية لما هو معروف من موقف السلفيين تجاه بناء الأضرحة والقبور، وقد كتب الشيخ الندوي في انطباعاته عن الرحلة قائلاً: (وكان من بين المشاهد التي زارها الوفد مسجد السيدة معصومة أخت الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، وفيه ضريحها الذي يقصده الإيرانيون من أنحاء بعيدة ويغص المسجد بهم، ومشهد الإمام علي الرضا الذي هو أكبر مشهد ومزار في إيران كلها تشد إليه الرحال ويؤمه الزوار من أقصى البلاد ولا ينقطع عنه الزائرون ولا تتوقف حركة السفر إليه في أي ساعة ليلاً ونهاراً)[1].

ثم كان الاستقبال المهيب للوفد في دار المرجع السيد شريعتمداري الذي استقبلهم بحفاوة بالغة وفي دار التبليغ الإسلامي وقد أُلقيَت كلمة ترحيبية بالوفد جاء فيها: (لقد آن أن نطوي الصفحات السود من تاريخ

.....

(١) الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، اسمعي يا إيران، (لكنو: المجمع الإسلامي العلمي).

تقاطع الأخوة وأصحاب المبدأ الواحد - ونبدأ المسيرة المباركة.. ونواجه المرحلة المصيرية بكل ثبات وصمود لنسترجع حقوقنا المغتصبة ونستلم قيادة الحضارة الإنسانية من جديد).

(فالرابطة مكلفة على الصعيد الثقافي بأن تقوم باستقصاء الأنماط الفكرية الثقافية ومحاولة تقييمها ومن ثم العمل على تقريب هذه المستويات من بعضها راجية أن تمنح الأمة المستوى الثقافي المتميز الموحد، وعلى الصعيد العملي بأن تقوم بعملية خلق للتفاعل الإحساسي بين كل قطاعات الأمة. وعلى الصعيد العقائدي بإزالة الحجب الكثيفة من سوء الفهم بين المذاهب الإسلامية).

وقد كان للكلمة أثرها البالغ في الحاضرين ونهض سماحة الأستاذ الندوي فرد على الكلمة بكلمة قيمة ورد فيها: (إنني لأوافق كل الموافقة على ما جاء في هذه الكلمة البليغة فإن العدو لا يفرق بين مذهب ومذهب.. فمعركة اليوم قد انحصرت وتركزت على محاربة الدين .. إن المعركة الحقيقة بين الدين واللادين فهناك رايتان راية سيدنا محمد ﷺ وراية إبليس.

وإنني لأهنئكم وأهنئ نفسي على هذا اللقاء السعيد وتحت الراية المحمدية التي يجب أن نقاتل في سبيلها).

ثم دار حوار هام وصريح حول الكثير من القضايا الإسلامية كما نوقش بعض أنواع نشاط رابطة العالم الإسلامي واقترح أن تكون الرابطة رابطة لجميع المسلمين مما يوجب أن يكون فيها ممثلون عن مختلف الطوائف الإسلامية.

ونوقشت مشكلة الشباب بشكل واسع ومركز وطرق إعادته إلى حظيرة الإسلام، كما تطرق النقاش إلى وسائل الإعلام وكيفية توجيهها التوجيه الصحيح.

ثم قام الوفد بجولة في دار التبليغ الإسلامي مطّلعًا على المراكز التدريسية والتبليغية المختلفة ومنها المكتبة العامة الملحقة بالدار

وأبدى إعجابه الشديد بها .. وقد أعدّ للترحيب به برنامج حافل كان من ضمنه كلمة ترحيبية وقصيدة رائعة لسماحة الشيخ محمد علي التسخيري بعنوان اللقيا الوهوب من أبياتها:

لربيـع الخيـر يـا نفـس اسـتجيبي
وبقلـب النـور يـا نجـواي ذوبـي
هـا هـو الركـب فمـاذا بعـده
غيـر تسـبيحة حـب وحبيـب؟
أيهـا الأخـوة في أضلعنـا
ظمـأ يرنـو للقيـاه الطـروب

*****

نحـن إن لـم نفـرش الحفـل لكـم
مـن ورود ونجـوم وطيـوب
فقـد رفـت عـلى أرواحكـم
مـن حنايانـا تسـابيح القلـوب

*****

إيـه يـا وفـد الربـاط الفـذ في
هيبـة العلـم وإصـرار وهـوب
نحـن مـن عاصمـة العلـم هنـا
نفتـح الصـدر لكـم في كل طيـب
فلتعانـق روحنـا أرواحكـم
ولنـذد عـن ديننـا كل الخطـوب

وأُلقيت كلمة تعريفية بالوفد وكلمة عن دار التبليغ الإسلامي، ثم أعقب ذلك كلمة الأستاذ المفكر أبي الحسن الندوي القيمة التي جاء فيها

مخاطبًا طلاب الدار الذين اجتمعوا للترحيب به (أهنئكم على سعادتكم إذ هيأ الله لكم هذه الفرصة النادرة بانضمامكم إلى هذه الدار التي تجمع بين التعليم والتوجيه و بين التدريس والدعوة وتنمية مواهبكم للدعوة في سبيل نشر العلم والفضيلة)، وقد اختتم كلمته بالإشارة إلى المحن التي تمر بها الأمة الإسلامية وأنه لا يمكن التغلب عليها إلا بالإيمان الصادق الراسخ والثقة بالله والعزوف عن الشهوات والاستقامة على الطريق[1].

وقد كتب الشيخ الندوي عن هذه الزيارة كتيباً تحت عنوان (اسمعي يا إيران) ضمّنه انطباعاته الإيجابية عن الزيارة وعن الشعب الإيراني، كما أبدى فيه بعض الملاحظات على الحالة الدينية المذهبية بأدب بالغ، وقد أجاب بعض علماء إيران على هذه الملاحظات حيث كتب المرجع الديني الشيخ لطف الله الصافي كتاباً بعنوان (إيران تسمع فتجيب).

وكان الشيخ الندوي قد كتب عن زياراته لبعض البلدان العربية والإسلامية بنفس الطريقة والأسلوب، فصدر له كتاب بعنوان (اسمعي يا مصر) وآخر بعنوان (اسمعي يا سوريا) وثالث عن الكويت بعنوان (اسمعي يا زهرة الصحراء).

لقد تفاعلت شخصياً مع زيارة الشيخ الندوي إلى قم وتأثرت بها كثيراً، وكانت من دوافع اهتمامي بالتواصل والانفتاح على سائر مكونات الأمة من مذاهب واتجاهات، فالقطيعة والبعد أرضية لسوء الفهم والجهل بالطرف الآخر، وفيها تنبت مشاعر الكراهية والبغضاء، وتنمو الحواجز المانعة عن التقارب والتعاون، بينما يجعلك التواصل والانفتاح أكثر فهماً ومعرفة بالآخرين، ويزيل الحواجز النفسية والمشاعر السلبية بين الأطراف المختلفة، ويساعد على التقارب والتعاون.

.....

(١) راجع مجلة الهادي (مجلة فكرية إسلامية جامعة تصدر عن دار التبليغ الإسلامي)، العدد الرابع، السنة الثانية رجب ١٣٩٣هـ

سنة 1392هـ

مَدْرَسة الرَّسول الأعْظم في الكُويت

قصدت الكويت أواخر عام ١٣٩٣هـ لالتزامي بالقراءة فيها في موسم المحرم ١٣٩٤هـ، واستمرارًا لعلاقتي مع المرجع السيد الشيرازي وجماعته، فقد تكررت زيارتي له، ولقاءاتي مع السادة والمشايخ في مدرسته (مدرسة الرسول الأعظم ﷺ) التي أنشأها في منطقة (بنيد القار) في الكويت.

ورأيت في هذه الزيارة تطوراً في وضع المدرسة، فقد اتسعت مساحة المدرسة ببناء غرف إضافية في ساحة ملحقة بالمدرسة، كما

انضم إليها عدد من العلماء والطلبة الذين غادروا كربلاء، والتحقوا بالسيد الشيرازي.

فإلى جانب وجود السيد الشيرازي كمؤسس وراع للمدرسة، هناك أصحاب السماحة والفضيلة السيد صادق الشيرازي[١]، والسيد محمد كاظم الخراساني المدرسي[٢]، والسيد مرتضى القزويني[٣]، والسيد محمد تقي المدرسي[٤]، والسيد عباس المدرسي، والشيخ صاحب الصادق، والسيد محمد علي الطباطبائي[٥]، والشيخ قاسم الأسدي[٦] وآخرون من العلماء الفضلاء.

السيد صادق الشيرازي

وكل واحد منهم تجلس إليه تسمع منه منطق العلم ولغة الفكر، ويثير لديك روح التطلع ووعي المسؤولية تجاه واقع الدين والأمة.

ووجدت في برامج الدراسة تجديداً وتطويراً، في اختيار كتب دراسية حديثة لعلوم اللغة العربية والفقه والأصول، واعتماد دروس جديدة كدرس التفسير ونهج البلاغة والفكر والثقافة الإسلامية والأخلاق والخطابة، وأدب الكتابة والتأليف، وتنمية مهارات الإدارة والتأثير الاجتماعي.

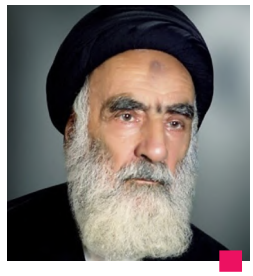

السيد محمد كاظم المدرسي الخراساني

والأهم من ذلك شعرت بتناغم وانسجام فكري ونفسي مع الأجواء السائدة في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ، وكأني وجدت ما كنت أبحث عنه، من فكر مسؤول، وثقافة رسالية، واهتمام بالتغيير والإصلاح الاجتماعي. وهذا ما لم أعثر عليه سابقاً في أجواء الدراسة التقليدية الحوزوية.

واستدعاني يوماً السيد المرجع الشيرازي، وحدثني عمّا يتطلع إليه من تأسيس مدرسة الرسول الأعظم ﷺ بأن تكون حوزة تستقطب أبناء

(١) المرجع الديني .

(٢) مِن كبار العلماء في الحوزة العلمية في مدينة مشهد وكربلاء (١٣٢٩ -١٤١٤هـ).

(٣) الخطيب الشهير إمام جماعة الصحن الحسيني.

(٤) المرجع الديني .

(٥) فقيه له رسالة عملية مطبوعة (١٩٤٥ - ٢٠١٧ م).

(٦) قائد في منظمة العمل الإسلامي في العراق له مؤلفات مطبوعة (.ت ١٤٢٤هـ).

المنطقة الخليجية ليتخرج منها العلماء والخطباء والكتّاب، وتكون وسيلة لنهوض هذه المجتمعات وارتقائها علمياً وثقافياً، واستعرض التحديات التي تواجه شباب المنطقة من نشاط التيارات الفكرية المعادية للدين، والتوجهات السلوكية المنحرفة، ومن سيطرة النزعة المادية الاستهلاكية التي تقود الشباب إلى متاهات الضياع والفراغ.

وقال: إن مواجهة هذه التحديات، وإنقاذ الشباب وهدايتهم، لا يكون إلا بخلق جيل من العلماء الواعين، والخطباء المؤثرين، والكتّاب المبدعين، من بين صفوف الشباب أنفسهم.

السيد مرتضى القزويني

وأضاف: إن الأجواء في الكويت تتيح لنا الآن هذه الفرصة، فموقف الحكومة إيجابي، وللشيعة مواقع ومناصب في الدولة، والتجار ورجال الأعمال فيهم من يدعم مثل هذا المشروع، فعلينا أن نستثمر هذه الفرصة المتاحة.

وطلب مني السيد الشيرازي أن أبذل جهدي لدعم مشروع هذه المدرسة، بتشجيع مجموعة من أبناء المنطقة للالتحاق بها. وقال إنه تحدث مع الحاج محمد تقي آل سيف وهو وثيق الصلة به، حول تشجيع أبناءه للانضمام للمدرسة، وطلب مني متابعة الموضوع معه.

وفي نفس السياق تحدث معي سماحة السيد محمد تقي المدرسي، ثم الشيخ صاحب الصادق وكان معه أكثر من لقاء لبحث هذا الموضوع.

وبذلك بدأت تتشكّل عندي قناعة بأهمية المشروع، وأن بإمكاني القيام بدور في دعمه وإنجاحه. وقررت صرف النظر عن العودة إلى قم، رغم أني كنت مرتاحاً للسنة التي قضيتها هناك، لكني وجدت نفسي منجذباً للمدرسة في الكويت للأسباب التالية:

أولاً: إعجابي بالتطوير في مناهج الدراسة فيها.

ثانياً: تفاعلي مع الأفكار والثقافة الحركية التي تتبناها المدرسة.

ثالثاً: تأثري بالروح التربوية الأخلاقية التي يتحلى بها القائمون على المدرسة بدءاً من السيد المرجع الشيرازي إلى بقية الأساتذة والموجهين.

رابعًا: اهتمام المدرسة بتنمية المهارات العملية اللازمة للدور الاجتماعي، كالخطابة والكتابة والإدارة، وتبنيها لأنشطة عملية تصقل مواهب الطلبة على هذا الصعيد، وتجعلهم على صلة بالمجتمع.

خامسًا: شعوري بالمسؤولية الدينية والاجتماعية تجاه المشروع، إلى حد الاعتقاد بأن ترددي في الالتحاق بالمدرسة، أو تقصيري في دعمها، هو بمثابة تخلٍّ أو هروب عن خدمة الدين والمجتمع.

وهكذا انتقلت إلى مدرسة الرسول الأعظم ﷺ مع بداية سنة ١٣٩٤هـ، وتحركت فوراً للعمل على استقطاب طلاب من المنطقة للدراسة فيها، وكان قد انضم إليها قبلي الشيخ محمد الموسى من القطيف، وسافرت للنجف للحديث مع الأخ (الدكتور) توفيق بن الحاج محمد تقي آل سيف، وكان قد أنهى دراسته الثانوية، ويريد منه أبوه البقاء في النجف للدراسة الحوزوية، لكنه لم يكن مرتاحاً للأجواء والأوضاع في النجف، ويرغب في العودة إلى السعودية للدراسة الأكاديمية الجامعية، فعرضت عليه فكرة المجيء إلى الكويت كحل وسط بين رغبته ورغبة أبيه، وأن يطّلع على التجربة في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ، فهي تختلف عن الوضع الحوزوي التقليدي الذي لا يميل إليه في النجف الأشرف، فهو شاب طموح، قوي الشخصية، منفتح الذهن، نهم في القراءة والمطالعة، يمتلك قدرة عالية من التركيز والاستيعاب الفكري.

وحين وافق على فكرة الانضمام إلى مدرسة الرسول الأعظم ﷺ في الكويت فرح أبوه كثيرًا بذلك، وبعد أيام جاء توفيق إلى الكويت، وأعجبته الأجواء في المدرسة، وبعد شهور التحق به بقية أخوته (الشيخ) فوزي، و(الشيخ) محمود، وحميد، ثم نادر، وهكذا انضم خمسة من أبناء الحاج محمد تقي آل سيف إلى المدرسة. مما أعطى دفعاً ومؤشراً إلى إمكانية التقدم في المشروع.

إن انضمام الأخوة آل سيف إلى المدرسة ومشاركتهم في التواصل مع معارفهم من الشباب لتشجيعهم على الدراسة الدينية، مكننا من استقطاب مجموعة من الشباب من مختلف أنحاء المنطقة، من الأحساء والقطيف، وإقناعهم بالالتحاق بالمدرسة، وبعض هؤلاء الشباب تم إعداد دورة صيفية لهم في المدرسة، واقتنعوا على إثرها بالتفرغ للدراسة الدينية.

ومع بداية سنة ١٣٩٥هـ كان في المدرسة ما يزيد على ٢٠ طالباً من الأحساء والقطيف، إضافة إلى عدد من الطلبة البحرينيين والعمانيين والكويتيين، كما كان يشاركنا في برامج المدرسة السيد محمد رضا [1] ابن المرجع الشيرازي، وكذلك إخوان السادة المدرسيين السيد حسين والسيد علي أكبر، والسيد علي أصغر، والسيد محمد باقر، لكن إقامتهم كانت مع أهاليهم وليس في المدرسة.

كانت الأجواء في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ مفعمة بالحيوية والنشاط، تسودها روح المحبة والانسجام، حيث يجلس الجميع طلاباً ومدرسين على مائدة واحدة لتناول الطعام، فمع وجود (طباخ) لإعداد وجبة الطعام، إلا أن هناك تقاسماً للأدوار بين الطلبة في إعداد المائدة وبمشاركة المدرسين أيضًا.

ولقرب المدرسة من شاطئ البحر كان هناك وقت للطلاب للتمشية على الشاطئ والسباحة لمن يرغب.

وتتكون مدرسة الرسول الأعظم ﷺ من طابقين، في الطابق الأول غرف لبعض السادة والمشايخ المهتمين بالدروس العلمية الحوزوية التقليدية، ومن المنشغلين بالخطابة الحسينية، وبعضهم ممن يقصد الكويت للقراءة في المواسم الدينية كشهر رمضان وشهري محرم وصفر، ويتخذ المدرسة مقراً لسكنه وإقامته.

أما الطابق الثاني فيقيم فيه الشباب الخليجيون ضمن برنامج دراسي أكثر انتظاماً وتطوراً من البرامج الحوزوية التقليدية، ويدير هذا البرنامج

.....

(١) آية الله السيد محمد رضا الشيرازي (١٩٥٩ -٢٠٠٨م).

الشيخ صاحب الصادق بإشراف من سماحة السيد محمد تقي المدرسي.

كان لشخصية الأستاذ صاحب الصادق أثر كبير في نجاح برامج المدرسة، فقد كان المدير الداخلي للمدرسة، وكان معلماً مربيًا بسلوكه وأخلاقه، وأستاذاً مهموماً بتطوير مستوى طلابه وإنضاج وعيهم الحركي والاجتماعي.

كما كان قوي الشخصية، منظماً في إدارة وقته وحياته، يمنح تلامذته وأصدقاءه أعلى درجات المحبة والاحترام، ويقدم لهم ما يحتاجون من العناية والرعاية.

الدرس القرآني

من أهم الدروس التي استفدت منها كثيراً في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ الدرس القرآني، حيث لم أجد في أجواء الدراسة التي عشتها في حوزة النجف وحوزة قم توجهاً للدرس القرآني، وربما كانت هناك مبادرات على هذا الصعيد لكنها لم تكن ضمن المنهج العام والموادّ المقررة في الدراسة الحوزوية التقليدية.

وقد تحدث عدد من العلماء عن هذا النقص والخلل في الحوزة العلمية آنذاك، مثل الشهيد محمد باقر الصدر، والشهيد مرتضى مطهري، الذي أشار إلى أن هناك في الحوزة من يمارس الضغوط لمنع الدرس القرآني، مستشهداً بانصراف المرجع السيد أبو القاسم الخوئي عن مواصلة تفسير القرآن بعد صدور المجلد الأول منه (البيان في تفسير القرآن) بسبب مراعاة التوجه السائد حسب نقله.

كما تحدث عن هذا النقص الفادح الإمام الخميني، والسيد الخامنئي في عدد من الخطب والمواقف، ومن أواخر من قرأت له نقداً في هذا السياق سماحة الشيخ باقر الأيرواني أستاذ البحث الخارج في النجف الأشرف، في مقدمة كتابه (دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام).

وبحمد الله فقد بدأ في السنوات الأخيرة التوجه والاهتمام لمعالجة

هذا النقص والخلل من قبل بعض المؤسسات والعلماء في الحوزات العلمية.

ولست هنا في مورد بحث الموضوع ومناقشته، لكني أردت الإشارة إلى ما وجدته تميّزاً آنذاك في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ.

كان يلقي الدرس القرآني سماحة السيد محمد تقي المدرسي، ضمن رؤيته ومنهجه في التدبر في القرآن الكريم، وللسيد المدرسي اهتمام عميق وعريق بالقرآن الكريم قلّ نظيره، فمنذ تعرّفي عليه قبل ما يقارب الخمسين عاماً وهو دائم الانشغال بتفسير القرآن والتدبر في آياته الكريمة دون أن تصرفه اهتماماته العلمية والحركية عن الاهتمام القرآني، بل يعتبر القرآن منطلقاً ومنهجاً في إدارته للاهتمامات الأخرى.

وقد أسس منهجاً للتدبر في القرآن الكريم عرضه في كتاب صدر بطبعته الأولى سنة ١٣٩١هـ تحت عنوان (بحوث في القرآن الكريم)، ثم أعاد صياغة هذا المنهج في مقدمة تفسيره (من هدى القرآن) الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٥هـ، ثم وفي مقدمة كل جزء من تفسيره الجديد (بينات من القرآن) الذي لا يزال يتوالى صدور أجزائه بتخصيص كل جزء لسورة قرآنية، يعرض سماحته لأفكار ومفاهيم ترتبط بمنهج التدبر في القرآن، واستلهام البصائر من آياته.

ودروسه في تفسير القرآن مستمرة طوال العقود الخمسة الماضية. وفي كل حوزة ومدرسة يشرف عليها السيد المدرسي يكون الدرس القرآني مقرراً أساساً، كما في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ في الكويت، وحوزة القائم في طهران، وفروعها التي افتتحت في سوريا وكربلاء والمناطق الأخرى.

كنت أحضر درسه القرآني في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ وكان يستثير أذهان الطلاب للتفكير معه في إدراك معاني الآيات القرآنية، واستلهام البصائر منها، وتنزيلها على الواقع الحياتي المعاصر، فكان الدرس لا يتمحض للجانب العلمي المعرفي، بل يطال البعد التربوي، وصياغة الشخصية، ومنهجية التفكير، وصناعة الرؤية.

ويشير السيد المدرسي إلى مشاركة طلاب ذلك الدرس القرآني في بلورة الاستنتاجات التي يقدمها في تفسير الآيات القرآنية بقوله في مقدمة تفسيره: (ولا أنسى دور إخوتي من تلاميذ درس التفسير الذي كنت ألقيه في بلورة رؤاي وأفكاري).

وقد حفّز هذا الدرس بعض المشاركين فيه لكتابة أبحاث حول منهجية التدبر في القرآن الكريم، ومنهم الشيخ كاظم السباعي، الذي ألّف كتاباً بعنوان (القرآن كتاب حياة)، وكذلك الفقيه الراحل السيد محمد رضا الشيرازي، وكان أحد زملائنا في الدرس، وقد ألّف كتاباً آنذاك وطبع بعنوان: (كيف نفهم القرآن؟)، ثم أضاف إليه فصولاً جديدة فيما بعد وطبع طبعة ثانية بعنوان: (التدبر في القرآن).

وكانت استفادتي من هذا الدرس عظيمة، حيث كان لي فرصة تأسيس وتدريب على ممارسة التدبر في آيات القرآن الكريم، وهو ما اعتمدته منهجاً في تعاملي مع الآيات القرآنية في مجال التأمل الشخصي، أو الطرح الفكري والإرشادي على مستوى الخطاب العام.

وإلى جانب هذا الدرس القرآني الذي كان على المستوى الخاص لطلاب المدرسة، كان هناك درس عام في تفسير القرآن يلقيه ليلياً السيد المرجع الشيرازي في ديوانيته المجاورة لمسجده، وكنت أحرص على حضوره، حيث يستقبل السيد ليلياً مجاميع الزائرين، ويخصص من الوقت نصف ساعة لتفسير القرآن، بلغة جماهيرية واضحة، يستشهد فيها لتوضيح المعاني والمفاهيم بالقصص التاريخية والأحداث الحاضرة، وينقل مختلف النصوص والأحاديث المناسبة لموضوع الآية، ويركّز على الجانب الأخلاقي والتربوي، مستهدفاً الجيل الناشئ الذي لم تتوفر له أجواء التوعية والإرشاد سابقاً.

وكان أسلوبه الميسر الواضح في تقديم معاني الآيات القرآنية، وعرض القصص المناسبة، إضافة إلى خلقه الرفيع في استقبال

الشباب وجميع الزائرين، كان ذلك سبباً لانجذاب مجاميع من الشباب ليلياً، وتأثرهم بالحديث والتوجيه، فتكوّن جيل من الشباب الواعين المتحفزين لخدمة الدين، ودعم المؤسسات الثقافية والاجتماعية، وبذلك صنع السيد الشيرازي أرضية وقاعدة اجتماعية انطلق منها في تأسيس مختلف المشاريع الدينية والإنسانية والثقافية والإعلامية، ولا تزال تلك القاعدة الاجتماعية التي رباها ورعاها السيد الشيرازي في الكويت تواصل عطاءها ودعمها للمشاريع المختلفة ضمن أجيالها الصاعدة.

ولا بد لي هنا أن اشير إلى أن ثمة نقصاً كان يكتنف هذا التوجه القرآني في المدرسة، وهو عدم الاهتمام بدراسة التجويد وأحكام التلاوة، وضعف التأكيد على حفظ القرآن.

الدروس العلمية

السيد عباس المدرسي

في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ بدأت في دراسة علم الأصول حيث درست كتاب (معالم الدين) للشيخ حسن بن الشهيد الثاني على يد سماحة السيد عباس المدرسي، وكان مدرساً ماهراً بارعاً في شرح المطالب وتوجيهها، وذكر بعض موارد تطبيقاتها في الفقه، وحضرت درس كتاب (الأصول العامة في الفقه المقارن) للسيد محمد تقي الحكيم، وهو كتاب مهم لأنه يستعرض آراء المذاهب الإسلامية المختلفة في أصول ومصادر استنباط الحكم الشرعي، بمنهجية أكاديمية رصينة.

ومدرس هذا الكتاب هو الأستاذ الشيخ صاحب الصادق، وكان يجتهد كثيراً في شرح مادة الكتاب وتوضيحها.

وفي دراستي لهذا الكتاب أدركت أهمية الدراسة العلمية المقارنة،

سواءً في العقيدة وعلم الكلام، أو في الفقه والأصول، ليدرك الانسان أنه وإن كان يعتقد الحق في مذهبه إلا أن أتباع المذاهب الأخرى لهم مبانيهم وأدلتهم فيما يذهبون إليه عقدياً وفقهياً. فيكون أكثر موضوعية في فهم الطرف الآخر وفي الحوار معه.

ويعتبر كتاب الأصول العامة للفقه المقارن، أفضل مثل وأنموذج للبحث الموضوعي المنهجي، حيث ينقل عن المصادر الأساس لكل مدرسة ومذهب، ويعرض أدلتهم بأمانة ودقة، ثم يناقشها بأدب واحترام.

السيد مرتضى القزويني

ولمتابعة دراستي في المجال الفقهي حضرت عند سماحة السيد مرتضى القزويني دراسة عدة أجزاء من شرح اللمعة الدمشقية، في سنة ١٣٩٤هـ إلى سنة ١٣٩٦هـ، وكان درسه مفيداً وجاذباً، حيث يطعّم درسه بالروايات والشواهد، فهو خطيب بارع، ذو قدرة بيانية متميزة، كما أنه يهتم بالتركيز على الجانب الوعظي والأخلاقي، مستغلاً أدنى المناسبات في الدرس لتذكير الطلاب بالتزام التقوى والتقيد بالأخلاق الفاضلة، وكان سلوكه القويم وشخصيته الأبوية خير محفز للتأثر بوعظه فهو واعظ متعظ.

وهو في أسلوب تدريسه ملتزم بالنهج الحوزوي التقليدي، بقراءة فقرات المتن وشرحها وتوضيحها، بل إنه كان يقرأ الدرس من نسخة قديمة الطبع، مع توفر الطبعة الجديدة التي حققها وعلق عليها السيد محمد كلانتر (١٣٣٥- ١٤٢٠هـ)، وقد صدرت الطبعة الأولى في النجف الأشرف سنة ١٣٨٦هـ، لكنه كان مرتاحاً للطبعة الحجرية القديمة.

السيد صباح شبر

وكان من الملتزمين بدروس السيد مرتضى القزويني في معظم دروسه الحوزوية سماحة السيد صباح شبر، وكذلك كان سماحة السيد محمد رضا الشيرازي (١٩٥٩- ٢٠٠٨م) أيضاً من ملتزمي درسه في اللمعة الدمشقية.

كما حضرت درساً في الفلسفة وعلم الكلام الجديد، للأستاذ الشيخ صاحب الصادق على ضوء كتاب (الفكر الإسلامي مواجهة حضارية)

لسماحة السيد محمد تقي المدرسي، ويضم الكتاب ثلاثة أقسام، القسم الأول: عن العلم والفلسفة ويتركز حول نظرية المعرفة في الإسلام، وعرض آراء المفكرين الغربيين حولها ضمن تسلسل تاريخي من سقراط وأفلاطون وارسطو، إلى ديكارت وجون لوك، إلى كانت والنسبية الذاتية، إلى هيجل وماركس والفلسفة الديالكتيكية.

أما القسم الثاني: حول العقيدة والإيمان، فهو عرض للعقيدة الإسلامية بمنهج عصري ولغة حديثة.

ويتناول القسم الثالث: الإنسان والمجتمع بحث المشكلة الاجتماعية لمناقشة النظريتين الرأسمالية والشيوعية وتقرير الرؤية الإسلامية في النظام الاجتماعي.

السيد محمد رضا الشيرازي

وكان الأستاذ الشيخ صاحب الصادق مبدعاً في طرح الأفكار والمفاهيم على صعوبتها بأسلوب شيق ولغة جاذبة.

وفي السنة الثانية لالتحاقي بالمدرسة سنة ١٣٩٥هـ اقترح عليَّ الأستاذ الشيخ صاحب الصادق أن أحضر معه بحث الخارج في الفقه الذي يلقيه السيد المرجع الشيرازي، فتهيبت الحضور؛ لأني لم أكمل دراستي في مرحلة السطوح العالية ضمن العرف الحوزوي، إلا أنه شجعني على الحضور مبرراً ذلك بأن السيد الشيرازي يوضح المطالب التي يطرحها، ويوسّع أفق الطالب، ويفتح ذهنه على طرق البرهنة والاستدلال في استنباط الأحكام الشرعية، كما أنه قد يستطرد في بحثه بذكر مطالب خارج دائرة الفقه والأصول، مما له ارتباط بالمسألة محل البحث، وبالفعل واظبت على حضور البحث لأكثر سنتين وكانت استفادتي منه كبيرة.

وقد أتيحت لي فرصة التدريس فدرّستُ في النحو كتاب (المنهاج في القواعد والاعراب) للشيخ أحمد الأنطاكي، وهو المنهج الذي اعتمدته المدرسة آنذاك للابتداء في دراسة النحو، ويمتاز عن الكتب النحوية الدراسية الأخرى بترتيب جديد لمباحث النحو، وبلغة عصرية واضحة، كما درّستُ في الفقه أجزاء من (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي.

التثقيف والتربية الأخلاقية

مما رأيته امتيازاً في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ بالكويت، أن برامجها وأجواءها لا تنحصر في تدريس المادة العلمية من نحو وفقه وأصول؛ بل تهتم كذلك بتثقيف الطالب وتربيته أخلاقياً على مستوى إصلاح الذات، وأخلاق التعامل مع الناس، وإعداده للقيام بدوره الإصلاحي في المجتمع.

وكانت برامج التثقيف تتم عبر الوسائل التالية:

أولاً: تقديم دروس في الثقافة الإسلامية العامة، كدرس نهج البلاغة، ودرس التاريخ الإسلامي، من خلال مادة قدمها للطلاب في المدرسة سماحة السيد محمد تقي المدرسي بعنوان: (التاريخ الإسلامي دروس وعبر) وقد طبع عدة طبعات، ودرس في نقد وتقويم الثقافة الدينية السائدة ضمن مادة أعدها سماحة السيد نفسه بعنوان: (الثقافة الرسالية).

وكنت مهتماً جداً بهذا الاتجاه الثقافي ومتفاعلاً معه، وشاركت في بلورته وتطويره عبر معظم كتاباتي وخطاباتي آنذاك.

ثانياً: عقد المحاضرات والندوات داخل المدرسة وخارجها بمشاركة طلاب المدرسة.

ثالثاً: توجيه الطلاب إلى التثقيف الذاتي بمطالعة الكتب والمجلات والصحف، وأحياناً يوضع للطالب برنامجٌ للمطالعة بقراءة كتب محددة تناسب مستواه وتلبي احتياجه الثقافي.

وكانت الأجواء السائدة في المدرسة تدفع الطلاب لمتابعة الأحداث الجارية في العالم، وخاصة في المنطقة العربية والإسلامية، ومواكبة التطورات السياسية والثقافية، حيث يتناولها المدرسون لمناسبة ما ضمن الدرس أو على هامشه، ويجري الحديث حولها عند اجتماع الطلاب على وجبات الطعام، وفي جلساتهم ولقاءاتهم.

أما التربية الأخلاقية فكنا نستقيها من توجيهات المرجع السيد

الشيرازي، من خلال درسه الأسبوعي في الأخلاق عصر كل خميس في مدرس المدرسة وهو خاص بطلبة العلوم الدينية، وكان درساً تربوياً بامتياز، يركز فيه السيد الشيرازي على ثلاثة أبعاد:

البعد الأول: ضرورة الجد والاجتهاد في التحصيل العلمي والكسب المعرفي، ويذكر الشواهد والقصص من حياة العلماء في دأبهم وعشقهم للعلم.

البعد الثاني: التأكيد على جانب التقوى والأخلاق في شخصية طالب العلم، متناولاً في كل أسبوع آية قرآنية أو حديثاً نبوياً أو رواية عن أحد الأئمة ﷺ، بأسلوب وعظي بالغ التأثير.

البعد الثالث: التشجيع على العمل والتصدي وتحمل المسؤولية الدينية والاجتماعية، ويستشهد بسير المصلحين والقيادات المؤثرة في الشعوب والمجتمعات، ويستعرض الواقع المأساوي الذي تعيشه بلدان وشعوب الأمة، وما تعانيه من مؤامرات المستعمرين والمستبدين، مستنهضاً همم الطلاب لإصلاح مجتمعاتهم وإحياء قيم الدين فيها.

السيد محمد الشيرازي

لقد تركت تلك الدروس للسيد الشيرازي أثراً كبيراً في شخصيتي وصنعت كثيراً من توجهاتي الفكرية والعلمية.

إضافة إلى خطبته كل جمعة بعد الصلاة في المسجد، وما يتضمنه تفسيره الليلي لآيات القرآن الكريم.

إلى جانب ذلك كان هناك اهتمام برعاية كل طالب من قبل مرشد تربوي يوجه السلوك، ويعالج الثغرات، وينمي نقاط القوة في شخصية الطالب.

وقد كانت الأخلاق الشخصية والسيرة العملية للسيد الشيرازي

وللأساتذة في المدرسة تمثّل أمام الطلبة خير أنموذج حي للتأسي والاقتداء.

بدايتي مع الكتابة والتأليف

في الكويت كانت بدايتي مع مشوار الكتابة والتأليف، فقد كنت قبل مرحلة الكويت أكتب تحضيراتي لمجالسي الخطابية، على شكل موضوع متكامل يبدأ من الشعر وينتهي بالرثاء، على شاكلة الكتب التي تقدم للخطباء مجالس جاهزة، ككتاب (المنح الإلهية في المجالس العاشورائية) للشيخ عبدالمجيد أبو المكارم، وكتاب (إرشاد الخطيب) للسيد حسن شبر، وكتاب (كفاية الخطيب) للسيد مهدي السويج، كما كتبت تراجم لبعض العلماء على نسق كتابات الشيخ فرج العمران في الأزهار الأرجية.

لكني قبيل شهر رمضان ١٣٩٣هـ مررت بالكويت في طريقي إلى القطيف للقراءة في شهر رمضان قادماً من قم، حيث كنت مقيماً للدراسة فيها، وقررت البقاء في الكويت بضعة أيام متفرغاً لتحضير مواضيع الخطابة في شهر رمضان، وحينما زرت السيد المرجع الشيرازي سألني: هل ستكون قراءتك في الكويت في شهر رمضان؟ فأجبته: إن قراءتي في القطيف لكني أردت التفرغ بضعة أيام في الكويت لإعداد وتهيئة مواضيع الخطابة.

وهنا تحدث معي السيد الشيرازي بإصرار أن أؤلف كتاباً حول الصوم يكون مادة لمواضيع الخطابة، ويكون انتشاره مفيداً في أوساط الشباب.

حاولت الاعتذار اليه بضيق الوقت، وضعف تجربتي في الكتابة، لكنه ردَّ اعتذاري، مشجعاً على المحاولة وبذل الجهد، وقال: ما مضمونه أني استمعت خطابتك، وإذا ما كتبتها بشيء من العناية فهي صالحة للنشر، وأنك في أي وقت تريد الكتابة والتأليف فستجد نفسك متردداً متهيباً، وعليك أن تتجاوز هذا التردد، فاكتب كتيباً حول الصوم وأعرضه عليَّ، وسأعطيه للإخوة ليقوموا بطباعته.

كتاب الصوم مدرسة الإيمان

فاستجبت لطلبه وسألت الله التوفيق لإنجازه، وشرعت في تحويل المادة التي أعددتها للخطابة على نسق كتاب بعنوان (الصوم مدرسة

الإيمان) يقع في خمسين صفحة، وقدمته للسيد الشيرازي بعد أسبوع، ففرح جدًّا وأخذ الكتاب ليطلع عليه، وفي اليوم الثاني أبدى اعجابه بالكتاب وأثنى عليه كثيراً، وكان قد كتب مقدمة له جاء فيها:

(إن من الطبيعي أن يُرى رجل العلم الديني، يزاول المنبر والمحراب والتدريس والتأليف والجهاد في سبيل الله، بكل طاقاته، فلم أتعجب حين قُدّم إليّ كتاب فضيلة الأخ الخطيب الجليل الحاج الشيخ حسن الصفار، الذي ألّفه حول الصوم بل رأيت الكتاب من أهله وفي محله.

والكتاب جميل في نفسه حسبما لاحظت شطرًا منه وجميل ثانيًا لكونه من هذا المؤلف الذي نذر نفسه لخدمة الإسلام لسانًا وقلمًا. فكل شيء من الجميل جميل.

وأرجو أن يكون الكتاب فاتحة ما لا يقل عن مائة كتاب، في مختلف الجوانب الإسلامية.

وإني إذ أبارك لفضيلة المؤلف هذه الخطوة التي هي باكورة إنجازاته في عالم التأليف، أرجو له التقدم المضطرد في مختلف ميادين العلم والعمل).

وأعطى السيد الكتاب للشيخ صاحب الصادق ليتابع موضوع طباعته ونشره، فاتفقت مع الشيخ صاحب أن أضيف للكتاب مدخلاً بمثابة مقدمة، أبعثها له من القطيف، وهذا ما حصل، وبعث الكتاب إلى بيروت، حيث طبع في دار التراث الإسلامي.

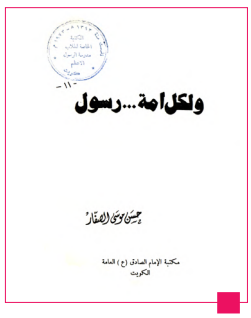

كتاب ولكل أمة رسول

وهكذا وفقني الله في السادسة عشرة من العمر لتأليف وطبع أول كتاب، وبعد ستة أشهر تقريباً أنجرت الكتاب الثاني في الكويت أيضاً، وهو كتاب (ولكل أمة رسول) الذي قدم له وتبنى طباعته المرجع الميرزا حسن الحائري.

واستمريت في الكتابة والتأليف حيث صدرت لي عشرات الكتب بمستويات وأحجام مختلفة، تعبّر عما أشعر به من هموم ثقافية واجتماعية، وتحكي تطور أفكاري واهتماماتي، وبعضها تكرر طبعه عدة

مرات، كما ترجم بعضها إلى لغات أخرى، وأسعدني ما رأيته من أثر لبعض تلك الكتابات في المحيط الاجتماعي، وذلك بفضل الله وتوفيقه فله الحمد والشكر أولاً وآخراً.

النشاط الاجتماعي

مع كثافة البرامج الدراسية والثقافية للطلاب في المدرسة، إلا أن الإدارة توجّه بعض طلابها للمشاركة المحدودة في النشاط الاجتماعي، بإدارة حلقة قرآنية للشباب مرة في الأسبوع مثلاً، تكون في إحدى المساجد أو الديوانيات. أو بإلقاء محاضرة في بعض المناسبات. وذلك من أجل صقل مهارات الطلاب، وإشراكهم في بث الوعي في الوسط الشبابي.

سنة 1392هـ

وكانت المدرسة تقيم دورات للشباب في عطلة نصف السنة والعطلة الصيفية، فكنت وبمساعدة بقية الطلبة في المدرسة نعمل لاستقطاب بعض شباب البلد للانضمام لهذه الدورات، كما كنا نقوم بإدارة برامجها بدعم من إدارة المدرسة، وكان لها فائدة وتأثير كبير في نفوس الشباب المشاركين من الكويت والأحساء والقطيف والبحرين وعمان، فبعضهم انجذب للدراسة في المدرسة، وبعضهم بدأ بممارسة نشاط ثقافي اجتماعي في محيط بلدته، وأصبح جسر تواصل بين المدرسة والمجتمع، تصله بعض الكتب والمطبوعات وتسجيلات المحاضرات فيقوم بنشرها في أوساط الشباب.

وفي الحقيقة كانت مدرسة الرسول الأعظم ﷺ في تلك السنوات مبعث حراك ثقافي تربوي في الساحة الخليجية.

من جهة أخرى كان يزور المدرسة بعض الضيوف من الناشطين ثقافياً واجتماعياً من البلدان الأخرى، كالعراق وإيران ولبنان والخليج، فنسمع منهم عن أنشطتهم وآرائهم وأوضاع بلدانهم، ما يجعلنا على صلة ووعي بما يجري في تلك المجتمعات، فمن إيران مثلاً كان يتردد على زيارة المدرسة بعض الناشطين في حركة الإمام الخميني، كالشيخ محمد بن الشيخ حسين علي المنتظري، والشيخ حسن الإبراهيمي، والدكتور محمد علي هادي، والسيد

سراج الموسوي، وكنا نسمع منهم الكثير حول أوضاع إيران.

وكذلك كان يأتي من العراق بعض قيادات منظمة العمل الإسلامي فنسمع منهم عن أوضاع الساحة العراقية.

وأذكر زيارة الإمام السيد موسى الصدر إلى الكويت سنة ١٩٧٦م، حيث ذهبت برفقة السيد المرجع الشيرازي لزيارته في منزل الحاج محمد قبازرد، واستمعت إلى حديثه عن مشروع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، وكان السيد الشيرازي يدعوني بعض الليالي لمرافقته في زيارة بعض الديوانيات والشخصيات.

وفي الحقيقة فإن انضمامي لمدرسة الرسول الأعظم ﷺ شكّل مرحلة تحول ومنعطف في حياتي ومسيرتي العلمية والثقافية والاجتماعية، فقد كنت قبل الالتحاق بها أفكر في ضرورة التغيير والإصلاح الاجتماعي، وأتحدث في خطبي وفيما نظمت من مقطوعات شعرية عن خطورة التحديات التي تواجه المجتمع وخاصة جيل الشباب، وأدعو إلى التحرك والنهوض، ويمكن لكل متابع لتراث تلك المرحلة أن يرصد هذا التوجه وهذه النبرة في خطاباتي وكتاباتي.

لكن انضمامي لمدرسة الرسول الأعظم ﷺ، هو الذي بلور مساري العملي في الحركة وممارسة الدور الاجتماعي.

وأودّ هنا الإشارة إلى أن بعض المحبين كان يتمنى عليَّ ألّا أنخرط في المسار الثقافي والاجتماعي، فيكون على حساب المسار العلمي، وأن عليَّ أن أكون طامحاً للفقاهة والاجتهاد، وذلك يستلزم البقاء في الحوزات العلمية في النجف أو قم والتفرغ للدراسة.

لكني أعترف بأن همّ الإصلاح الاجتماعي كان هو الغالب على تفكيري ومشاعري، وكان يقلقني ما يعانيه أبناء جيلي من الفراغ والضياع والانزلاق نحو الانحرافات الفكرية والسلوكية، وما يعيشه مجتمعي من تهميش وتحديات مختلفة، لذلك اقتنعت بأن السعي للفقاهة والاجتهاد بالنسبة لي ليس هو الواجب الأهم آنذاك (فكلٌّ ميسّر لما خلق له) كما ورد عنه ﷺ.

إن الحوزات العلمية ينبغي أن يتنوع فيها برنامج الدراسة إلى مسارين:

١. مسار الفقاهة والدراسات العليا.

٢. مسار إعداد المبلغين والدعاة والقيادات الاجتماعية.

وكواقع عملي في الحوزات العلمية لا ينال رتبة الفقاهة والاجتهاد إلا نسبة محدودة من الطلاب قد لا تصل إلى ٥٪.

فينبغي أن تكون هناك مرحلة فرز بين الطلاب لاختيار أحد المسارين، بناءً على تقويم القدرات الذاتية للطالب، أو حسب ظروفه وميوله الشخصية، أو لدراسة احتياجات مجتمعه.

والحديث التفصيلي موكول إلى الحلقات الأخرى من هذه المذكرات إن وفق الله تعالى. فهو ولي التوفيق والتسديد، ومنه أستمد العون وأرجو المغفرة والعفو.

سنة 1400هـ

مِنْ أَسَاتِذَتِي

جاء في الصفحات السابقة، ذكر عدد من الاساتذة الاعلام، الذين حضرت دروسهم واستفدت من معارفهم وعلومهم، واودّ هنا الاشارة إلى ذكر اساتذة آخرين تتلمذت على يدهم في فترة لاحقة، وفاءً لبعض حقهم عليّ، ومنهم:

السيد علي السيد ناصر السلمان

السيد علي السيد ناصر السلمان

في عام ١٣٩٧هـ قررت الاستقرار في بلدي القطيف، بعد أن قضيت ثلاث سنوات للدراسة في الكويت، في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ، وبدأت خلالها نشاطي الديني والثقافي في القطيف، حيث كنت آتي للقطيف في بعض المناسبات، ويأتيني بعض الشباب إلى الكويت.

وبعد زواجي وتوطدّ علاقتي مع شريحة من الشباب المتطلعين الى النشاط والحراك الديني والاجتماعي من مختلف مناطق القطيف، فكرت في الاستقرار في القطيف، والبدء بنشاط ديني ثقافي في أوساط الشباب، حيث كانت هناك حالة من الركود وانصراف الشباب عن الأجواء والاهتمامات الدينية والثقافية.

في نفس الوقت كنت مهتما بمواصلة مشوار دراستي العلمية الدينية، فصرت ابحث عن أستاذ يمكنني الاستفادة منه، وكان سماحة السيد علي السيد ناصر السلمان قد استقر في الدمام، والتف حوله المؤمنون هناك، وكنت اعرف عن مكانته العلمية في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، إضافة إلى اتصافه بالتواضع وحسن الخلق، فذهبت إلى سماحته طالباً أن يخصص لي درساً يومياً في أصول الفقه للشيخ محمد رضا المظفر،

فاعتذر سماحته في البداية لانشغاله الاجتماعي، حيث يزدحم مجلسه بالمراجعين من المؤمنين، ثم وافق على طلبي مهتما بتشجيعي على النشاط الثقافي والاجتماعي في أوساط الشباب في القطيف، وايضاً لما يبلغه عني من نجاح في مجال الخطابة المنبرية.

فبدأت الدرس عند سماحته يومياً في غرفة مجاورة لمجلسه العام، وكنت أعاني من مشكلة المواصلات في الذهاب من القطيف إلى الدمام ثم العودة إلى القطيف، وخاصة في أيام الصيف مع الحر الشديد، وعدم توفر سيارة لي، فاستخدم سيارات الأجرة، وفي كثير من الأيام كان يتفضل الأخ الأستاذ أحمد حبيب البحراني جزاه الله خيراً بإيصالي الى منزل السيد، ثم أعود بسيارات الأجرة، وفي بعض الأيام، كان سماحة السيد علي يكلف ابنه الكريم (السيد هاشم) بإيصالي بسيارته إلى القطيف.

واستفدت كثيراً من دراستي عند سماحته في أصول الفقه، لأنه مستوعب لمباحثه، وسبق له أن درس هذه المادة في النجف الأشرف، كما يتمتع ببيان واضح جميل.

وبعد انهاء أصول المظفر درست عنده بعض أجزاء اللمعة الدمشقية، وعلى هامش الدرس كانت تدور مع سماحته بعض الاستشارات في العمل الاجتماعي والديني، وكنت اخبره عن انشطتنا في القطيف فيباركها ويشجعها.

واستمر الدرس حوالي سنتين من أواخر سنة ١٣٩٧هـ الى منتصف سنة ١٣٩٩هـ.

السيد محمد رضا الشيرازي (١٩٥٩ – ٢٠٠٨م)

كان سماحة السيد محمد رضا الشيرازي "رحمه الله" زميلاً لي في عدد من الدروس أيام دراستي في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ في الكويت سنة ١٣٩٤هـ حتى ١٣٩٦هـ، لكنه تفرغ للدراسة والعلم وهو في أحضان أسرة علمية عريقة حيث حظي برعاية أبيه المرجع الراحل السيد محمد

الشيرازي (١٣٦٧ – ١٤٢٢هـ)، وعمه المرجع المعاصر السيد صادق الشيرازي، وقد منحه الله تعالى التوفيق باجتهاده وفطنته وإخلاصه.

السيد محمد رضا الشيرازي

وقد هاجر مع والده من الكويت إلى قم المقدسة بعد انتصار الثورة في إيران سنة ١٩٧٩م، لكنه عاد ليستقر في الكويت سنة ١٩٩٢م فرأيت في وجوده في الكويت فرصة ثمينة للاستفادة من علمه، وحيث كان من الصعب عليّ الانتقال إلى الكويت بعد رجوعي إلى القطيف سنة ١٤١٥هـ، قررت السفر أسبوعياً إلى الكويت أيام الدراسة والعودة يومي الخميس والجمعة. وكان ذلك عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

وتهيأت لي غرفة في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ، وصرت أسافر عصر كل جمعة من الدمام إلى الكويت عبر حافلات النقل الجماعي، وأعود عصر يوم الأربعاء من الكويت عبر الطيران.

وقد تفضل عليّ "رحمه الله" بمنحي وقتاً خاصاً يقارب الساعتين كل يوم، لأستكمل عنده دراسة بعض بحوث رسائل الشيخ الأنصاري (فرائد الأصول) وبعض أجزاء (المكاسب) أيضا، إلى جانب استماعي للدروس المسجلة للشيخ محمد باقر الإيرواني والسيد كمال الحيدري.

كما كنت أحضر بحث الخارج في الفقه الذي يلقيه كل يوم في المدرسة، بحضور عدد محدود من الطلبة المتواجدين في الكويت.

ولم أجد مدرساً أشرق منه بياناً ولا أوضح أسلوباً في طرح المطالب العلمية الدقيقة في الفقه والأصول.

كان حاضر البديهة، سريع الاستحضار للشواهد والأمثلة التي تقرب كل فكرة مهما كانت عويصة إلى الذهن.

وكان على درجة عالية من الأخلاق والتواضع، والزهد والتعفف، ولا أبالغ إذا قلت: إنه أشبه بملاك في صورة إنسان، حيث لا تكاد ترى منه أو تسمع عنه أدنى خلل أو مخالفة لشيء من مكارم الأخلاق.

وكان فقده وهو في أوج عطائه العلمي خسارة كبرى، تعمده الله بواسع المغفرة والرحمة، وخلف على الدين والأمة أحسن الخلف.

الشيخ مصطفى الهرندي والسيد أحمد المدي

الشيخ مصطفى الهرندي

في صيف سنة ١٤٢٥هـ رغبت في البقاء في قم المقدسة للاستفادة من أجوائها العلمية بحضور بعض الدروس ولقاء المراجع والفضلاء، وأخذت معي العائلة، وهيأ لي سماحة السيد جواد الشهرستاني شقة في المدينة العلمية التي أسسها بأمر المرجع السيد السيستاني، لتضم وحدات سكنية مخصصة لطلبة العلوم الدينية.

وكان الشيخ سعيد المدلوح "رحمه الله" (١٣٦١ – ١٤٣٥هـ)، قد جاء إلى قم بغرض الإقامة أيضاً لفترة الصيف حيث يمتلك بيتاً هناك، وأهل زوجته مقيمون فيها.

فاقترح عليّ الشيخ المدلوح أن أشاركه في درس في كفاية الأصول

لدى سماحة الشيخ مصطفى الهرندي، وهو من أساتذة البحث الخارج في الحوزة العلمية.

فوجدت مقترحه فرصة ثمينة، والتزمت حضور الدرس عصر كل يوم في منزل الشيخ الهرندي.

وكان الدرس ثرياً جداً وعميقاً، فالشيخ الهرندي معروف بالدقة والعمق في تناول البحوث الأصولية والفقهية. وشرحه لعبارات الكتاب كانت وافية، وتبيينه للمطلب كان رائعاً.

السيد أحمد المددي

وبعد انتهاء الدرس غالباً ما يجري الحديث عن القضايا الفكرية والسياسية، لأن الشيخ الهرندي له متابعة للتطورات في الساحة الفكرية والسياسية، وهو صاحب رأي ورؤية، يقرأ للمفكرين الغربيين والحداثيين والليبراليين في إيران والعالم العربي. ويهتم بتحليل الأحداث السياسية. فكانت الاستفادة من النقاش معه كبيرة ومفيدة.

كما واظبت في نفس الفترة على حضور بحث سماحة السيد أحمد المددي صباحاً في الفقه، ومن ميزات درسه اهتمامه الكبير بعلم الحديث وأحوال الرواة، وله آراء وملاحظات في علم الدراية والرواية تدل على تعمقه وسعة اطلاعه، وهو من أبرز تلامذة السيد السيستاني والمتأثرين بمنهجه الرجالي ومنهج السيد البروجردي.

سنة 1398هـ

مَسقَط:
تجرُبَتي الأُولى فِي العمل الاجتماعي

أتاحت لي إقامتي في مسقط بسلطنة عمان أول فرصة مفتوحة لممارسة النشاط الاجتماعي الديني، فقد كنت في سنّ السابعة عشرة من العمر، وفي عزّ الحيوية والحماس، وبعد أن انخرطت كطالب علم في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، وقم المقدسة، والكويت، ومارست الخطابة لعدة سنوات في وقت مبكر من حياتي، لكني لم أكن قد

تصدّيت بعد لأيٍّ دورٍ اجتماعي، فالأوضاع في بلدي القطيف لم تكن مهيأة آنذاك، بسبب طبيعة الظرف السياسي والاجتماعي.

في مسقط كانت الظروف مشجّعة على خوض مثل هذه التجربة، حيث دعيت للخطابة من قبل أحد وجهاء الجماعة اللواتية في مطرح وهو الحاج محمد موسى عبد اللطيف رحمه الله، بمناسبة أيام شهر صفر سنة ١٣٩٤هـ، وكان مثيرًا للجمهور تمكّني من الخطابة مع صغر سنّي، مما جذب حشودًا ضخمة من المستمعين، وخاصة من أوساط الناشئة والشباب.

الحاج محمد موسى عبد اللطيف

وكان قد سبقني للمجيء إلى مطرح الشيخ قاسم الأسدي حيث استقرّ فيها بضعة أشهر والتزم صلاة الجماعة في مسجد (جبرو) بمطرح، للجماعة المعروفين بالعجم، لكنه لم يكن خطيبًا حسينيًّا، فلم تتح له فرصة العمل الاجتماعي بالشكل المطلوب، وهو من قيادات الحركة الرسالية في العراق، من مدينة كربلاء المقدسة، عرف فيما بعد باسم (الشيخ محسن الحسيني) وتوفي رحمه الله بنوبة قلبية في الأول من شهر رجب ١٤٢٤هـ بعد شهور من عودته لكربلاء في أعقاب سقوط نظام صدام.

الحاج علي يوسف الفاضل (أبو لؤي) وولده لؤي

وهو من أصرّ عليَّ بتمديد مدة بقائي في سلطنة عمان، حيث رأى الإقبال الكبير من الشباب على حضور مجالسي، والالتفاف حولي، وتعرّفت من خلاله إلى الحاج علي يوسف الفاضل (أبو لؤي) وجماعته في مدينة مسقط، المعروفين بالبحارنة، الذين لم يكن في أوساطهم عالم دين يقيم لهم صلاة الجماعة، ويجيب عن الأسئلة الدينية، بينما كان في مدينة مطرح العالم الجليل السيد حسين أسد الله الموسوي، المعروف بـ (السيد حسين العالم) وهو من أهالي المنطقة، ووكيل المرجعية الدينية هناك منذ عقود من الزمن، حتى توفي رحمه الله بتاريخ ٢٧ شعبان ١٤٠٣هـ.

فصرت أتردّد على زيارة سلطنة عمان، وخاصة في المواسم الدينية، وأمكث فيها ما يزيد على أربعة أشهر في كلّ عام، لمدة أربع سنوات (١٣٩٤هـ - ١٣٩٨هـ).

وقد هيأ لي الحاج (أبو لؤي) حفظه الله سكنًا في مسقط، كان عبارة عن غرفة (بورتبل) في حسينية البحارنة قرب مقر مكتب العاصمة في مسقط، قبل زواجي، ثم نقلني إلى شقة سكنية بعد زواجي، ووفّر لي كلّ ما أحتاج من نفقات جزاه الله خير الجزاء، لأقيم صلاة الجماعة في مسجد البحارنة القريب من الحسينية ظهرًا، وفي مسجد الحاج جعفر عبد الرحيم مساءً، إضافة إلى القراءة في المناسبات الدينية.

كانت إقامتي في مسقط، لكن نشاطي وعملي الاجتماعي والثقافي كان في مطرح؛ لأني تعرفت فيها إلى جيل من الشباب المتلهّف للمعرفة والنشاط، وهم أبناء الجماعة التي يطلق عليها «اللواتية»، وجدتهم شبابًا ينطوون على عمق من الانتماء والعاطفة الدينية، ويتصفون بالذكاء والثقة بالذات، والاهتمام بالدراسة والتعليم، وقد منحتهم تربيتهم الأسرية وبيئتهم الاجتماعية المحافظة رقيًّا في الأدب والأخلاق.

السيد حسين أسد الله الموسوي

وأساسًا فإنّ الجماعة اللواتية يعتبرون الطبقة المتعلمة والمثقفة ذات الخبرة التجارية الاقتصادية في المجتمع العماني آنذاك.

مع هؤلاء الشباب بدأت تجربتي في العمل الاجتماعي، واستفدت كثيرًا من هذه التجربة، وكان تعرفي إليهم فرصة ثمينة لامتحان قدراتي الإدارية والاجتماعية، وتنمية اهتماماتي الفكرية الثقافية.

وقد تفاعل معي هؤلاء الشباب؛ لأنّهم رأوني في سنّهم وعمرهم، أقدّم لهم الفكر الديني باللغة التي يفهمونها، ولأول مرة ـ كما كانوا يقولون ـ يجدون رجل دين يعيش معهم، ويشاركهم بعض البرامج الترفيهية كالرياضة والرحلات، ويتعاطى معهم دون كلفة ولا حواجز. حيث لم يكن في منطقتهم إلّا عالم دين كبير في السنّ، صحيح أنه يزورهم بعض الخطباء في المواسم الدينية، إلّا أنّ العلاقة معهم كانت تقتصر على التلقّي والاستماع غالبًا، وأتحدّث هنا عن تلك الحقبة الزمنية في النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي.

مسجد البحارنة

وبحمد الله تعالى فقد تربّى من هؤلاء الشباب جيل من الكفاءات

والقدرات التي يفخر بها مجتمعهم، وقد شقّ بعضهم طريقه إلى مواقع قيادية في الدولة والمجتمع وساحة الثقافة والإعلام.

كانت آليات التحرك والنشاط آنذاك إلى جانب الخطابة في المناسبات الدينية، تتمثل في إقامة الدروس التربوية الخاصة بالشباب، حيث اعتمدت نصوص «نهج البلاغة» كمحور أساس. وكنت أكتب كلّ درس في ملزمة، يطبعها الشباب ويكثرونها عبر جهاز (استانسل) ويتداولونها، ثم طبعت مجموعة من تلك الدروس في كتاب بعنوان «رؤى الحياة في نهج البلاغة»، واعتمدت منهجًا دراسيًا في مدرسة الرسول الأعظم بالكويت، وفي بعض الدورات التدريسية للشباب في مناطق أخرى، وألقيت مجموعة دروس حول الإمامة وأهل البيت عليهم السلام طبعت بعنوان (أئمة أهل البيت رسالة وجهاد).

مسجد الرسول الأعظم

كما أسّسنا مكتبة عامة لتكون مقرًّا وعنوانًا لنشاط الشباب باسم «مكتبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله العامة» في غرفتين على سطح المسجد الرئيس للجماعة الواقع على كورنيش مدينة مطرح (مسجد الرسول الأعظم).

مكتبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله العامة

ومن أجل أن يعبّر الشباب عن ذواتهم، وينمّوا مواهبهم وطاقاتهم، في مجتمع تقليدي يدير شؤونه كبار السنّ والبارزون من رجال الأعمال، شكّلنا دورة للتدريب على الكتابة والتأليف، واجتهدت في تشجيع الموهوبين منهم على إنجاز بعض الكتابات وطبعها، فكان مثيرًا للاهتمام في ذلك الوقت أن يؤلف شاب صغير كتابًا يشقّ طريقه إلى الطباعة والنشر. فمثلاً الطالب في المرحلة الثانوية مشتاق موسى محسن طبعنا له كتاباً حول أبي ذر الغفاري بعنوان (أبو ذر ثائر العدالة الاجتماعية وشهيدها). وكذلك زميله علي محمد سلطان طبعنا له كتاباً بعنوان (دروس في الصمود)، كما تشكلت فرقة للإنشاد والأداء المسرحي.

مشتاق موسى محسن

ومن الإنجازات المهمة في تلك المرحلة إصدار مجلة باسم «الوعي»

يُحرّرها الشباب بأقلامهم، ويقومون بإخراجها ومتابعة طباعتها ونشرها، وجمع التبرعات لتمويلها، مما أكسبهم خبرات وتجارب في المجال الإعلامي والثقافي، وعزّز ثقتهم بأنفسهم، ولفت أنظار المجتمع إليهم. وقد صدر من المجلة أحد عشر عدداً، أولها في شهر محرم ١٣٩٨هـ وآخرها شهر محرم ١٤٠٠هـ. وقد جمع الأعداد وأعاد طبعها في مجلد واحد الأستاذ عبدالحسين محمد حسن اللواتي صدر عن دار المحجة البيضاء ـ بيروت ٢٠١٧م.

الحاج عبدالحسين محمد حسن جعفر أبوسمية

أعتقد أنّ تلك الأنشطة، والأجواء التي خلقتها، اجتذبت كثيرًا من الشباب إلى أحضان الحالة الدينية والثقافية، وأنقذتهم من حالة الضياع والمزالق التي يتعرض لها الشباب، وخاصة في تلك المرحلة من بداية انفتاح المجتمع العماني، بعد استلام السلطان قابوس للحكم.

مجلة الوعي (العدد الثالث)

وقد ساعدنا على النجاح في هذا الحراك والنشاط، حسن العلاقة القائمة بين الجماعة وحكومتهم، وأجواء التسامح المذهبي في سلطنة عمان، حيث تتعايش المكونات المذهبية من الإباضية والسنة والشيعة في حالة من الوئام والانسجام، دون شعور بالتفرقة والتمييز، ولا معاناة من التعبئة والتحريض الطائفي.

وكنت أتواصل مع الوزراء والمسؤولين فأجد منهم كلّ احترام وترحيب بتلك البرامج، وأذكر من الوزراء العمانيين الذين كنت أتواصل معهم وأزورهم معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، كان وزيراً لشؤون القبائل والتراث، وتقلّد وزارات أخرى، ومعالي السيد هلال بن حمد السمّار، كان وزيراً للعدل كما تقلد وزارات ومناصب أخرى، ومعالي الشيخ الوليد بن زاهر الهنائي، كان وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.

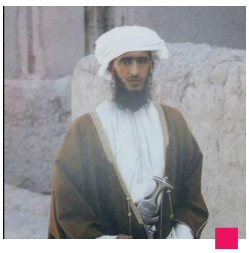

السيد هلال بن حمد السمّار

وكانت لي صداقة طيبة مع كبار علماء الإباضية كالمفتي السابق الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري رحمه الله حيث زرته في بيته في مسقط وبهرني بأخلاقه وتواضعه، والعالم الأديب رئيس محكمة مطرح الشيخ

سالم السيابي رحمه الله، والمفتي الحالي للسلطنة الشيخ أحمد الخليلي حفظه الله.

كما نشرت مقالات في عدد من الصحف والمجلات العمانية كجريدة عمان، وجريدة الوطن، ومجلة العقيدة، ومجلة الأسرة. وكنت أزور مديري التحرير في هذه المطبوعات مما وثّق علاقتي وصداقتي معهم.

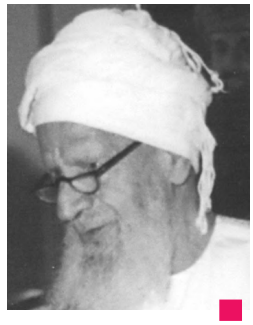

الشيخ سالم بن حمود السيابي (1908 - 1993م)

لقد واجهتني بعض المصاعب والمشاكل في تلك التجربة، وهذا أمر طبيعي في كل حراك ونشاط اجتماعي، وخاصة حين تكون الأنشطة غير مألوفة في المجتمع، ولكن بحمد الله وتوفيقه تحقّقت عدد من المبادرات ومن أهمها وأعزّها في نفسي المبادرات التالية:

صلاة الجمعة

٣. إقامة صلاة الجمعة في مسقط، حيث لم يكن مألوفاً في المجتمع الشيعي آنذاك اقامتها وإنما تقام صلاة الجماعة، ولا تقام الجمعة بخطبتيها وأحكامه.وكنت كثيرًا اتساءل في نفسي لماذا يحرم الشيعة الأصوليون أنفسهم من إقامة صلاة الجمعة؟ مع أن معظم فقهائهم يراها مجزية عن صلاة الظهر، وأفضل من الظهر، بل يرى السيد الخوئي أنه (إذا أقيمت صلاة الجمعة في بلد واجدة لشرائط الوجوب والصحة وجب الحضور على الأحوط).[1] وهو رأي الشهيد السيد محمد باقر الصدر أيضًا. لذلك كنت اتطلع لإقامتها، وحين رأيت الفرصة متاحة في مسقط بادرت لإقامتها. واقترحت على مفتي السلطنة الشيخ أحمد الخليلي عقد لقاء بين أبرز المقيمين لصلاة الجمعة في مسقط من الاباضية والسنة والشيعة، لتبادل الرأي حول مواضيع خطب الجمعة، ووافقني على الفكرة وتبنى عقد لقاء بمكتبه في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية كنت احضره مع سماحته وفضيلة

(١) منهاج الصالحين ج١ ص ١٨٦ دار المرتضى بيروت ٢٠٠٦م

الشيخ صالح الصوافي من أهل السنة، وكان فرصة للتقارب والحوار، وبدأنا نُعدُّ خطبًا مقترحة لمن شاء الاستفادة منها من ائمة الجمعة، واستمرت اللقاءات مدة من الزمن.

الابتعاث للدارسة الدينية

٤. ولاهمية وجود علماء دين وخطباء من أبناء البلد والمجتمع نفسه، كونهم اعرف بأوضاع بلدهم ومجتمعهم، وأقدر على العمل والتأثير، ولأن مجيء علماء وخطباء من الخارج قد لا يتيسر دائمًا، لذلك سعيت لاقناع بعض الشباب بالتفرغ للدراسة الدينية وابتعاثهم لمدرسة الرسول الأعظم في الكويت. وكانت هناك صعوبة بالغة في إقناع الشباب وإقناع عوائلهم، فالمجتمع لم يألف مثل هذه التجربة، والاهتمام كان منصبًا على التعليم الرسمي الأكاديمي واغتنام فرص العمل الوظيفي، والاقبال على التجارة التي لرجالات اللواتية خبرة ونجاح فيها. فاستجاب لنا عدد قليل من الشباب، وبعضهم لم يواصل مسيرته الدراسية لسبب أو لآخر.

التبرع بالدم في عاشوراء

٥. حملة التبرع بالدم أيام عاشوراء، وقد قرأت مقالاً للدكتور علي محمد سلطان بتاريخ ٢٠١٨/٩/٢١م ، يتحدث عن هذه المبادرة بعنوان (من ذاكرة المناسبة) يطيب لي للتوثيق أن أنقل منه الفقرات التالية:

الدكتور علي بن محمد سلطان

(قبل ٤٢ عامًا، ومن قلب مطرح وبمناسبة عاشوراء الحسين، قامت ثلة من الشباب الذين انتسبوا لمكتبة الرسول الأعظم ﷺ ببادرة خيرة للدعوة إلى التبرع بالدم.

جاءت هذه الدعوة برأي تقدم به فضيلة الشيخ حسن موسى الصفار في ليلة العاشر من المحرم، وبعد القراءة الحسينية المعتادة، حيث إن

شباب المكتبة كانوا يتجمعون في قاعة المكتبة التي كانت في سطح المسجد المطل على الواجهة البحرية «الكورنيش»، وهو ذات الموقع الذي بني عليه مسجد الرسول الأعظم ﷺ في صورته الحالية.

تلقى الشباب الرأي بنوع من القبول، وبعد التشاور والتبادل في المقترح المتقدم به فضيلة الشيخ، فقد استقر الرأي بأن نخاطب الجهة الرسمية «وزارة الصحة» إن كان الوضع يسمح بأن يكون التبرع في أحد المستشفيات في مسقط، ولعدد من الشباب، وقد استجابت الوزارة للمقترح الذي رأته إيجابياً، وفعلًا تم التفاعل مع الرأي، ومع ساعات عصر عاشوراء ذهب عدد من الشباب إلى مستشفى النهضة، وتم أول تبرع للدم بصورة جماعية على «حدود علمي»، واستمر الحال على هذا المنوال، فمع كل عصر عاشوراء كان هناك عدد من الشباب يذهب إلى المستشفى على «اختلاف المواقع» ويتبرع، هذا العدد الذي أخذ في التنامي مع السنوات، حتى تحول إلى عادة جارية بأن يكون يوم العاشر لما يمثله من مناسبة العطاء والتضحية والبذل أن يكون واحدًا من عطاياه التبرع بالدم.

ومع الأيام أخذت مشيخة قبيلة اللواتية على نفسها مسؤولية تجميع العناصر من الذكور والإناث في قاعة الزهراء التي تأسست على أرض مكتبة الرسول الأعظم ﷺ، وقامت بالحملة المنظمة وبالتنسيق مع الجهات المختصة ومع الزمن فإن القاعة غدت موقعاً جامعاً لتجميع قناني الدم من المتبرعين الذين يرون في يوم الحسين فرصةً مناسبةً لهذا التبرع وباسم السبط الشهيد الحسين (عليه السلام).

المسيرة الحسينية

٦. المسيرة الحسينية عصر اليوم العاشر من المحرم في شارع الكورنيش العام بمطرح، وكان العزاء الحسيني يقام داخل السور، وهو حي اللواتية المسوّر. وكان يشارك في المسيرة عدد كبير من مختلف الشرائح من الشيعة، يرددون شعارات حسينية بحزن ووقار، ويحملون لافتات من كلمات الإمام الحسين، وتتم

المسيرة بتنسيق مع الجهات الأمنية. والهدف من هذه المسيرة الحسينية تقديم صورة عن الشعائر الحسينية وعن مناسبة عاشوراء للآخرين من غير الشيعة، لأن إحياء المناسبة داخل الحيّ المغلق، يضفي عليها نوعًا من الغموض يفسح المجال للتفسيرات المختلفة. كما أن العزاء داخل السور بالطريقة التقليدية ويعتمد اللغة الخاصة باللواتية (لغة ذات جذور هندية) لذلك كانت المسيرة الحسينية تمثل نوعًا من التطوير في إحياء المناسبة، وفرصة للانفتاح على المجتمع الوطني الكبير.

٧. إقامة الاحتفالات المفتوحة في المناسبات الدينية، حيث ندعو الوزراء والمسؤولين الحكوميين والعلماء الإباضية والسنة، ويشاركون في إلقاء الكلمات، كالمولد النبوي الشريف، والحفل الحسيني التأبيني ليلة الرابع عشر من المحرم.

٨. إعداد برامج للعلماء الأفاضل الذين يزورون مسقط، مثل إقامة الندوات، وترتيب اللقاءات مع الشباب، وزيارة بعض الشخصيات العمانية الرسمية والدينية، وأذكر مثلاً: زيارة أصحاب السماحة السيد هادي المدرسي من البحرين، والشيخ علي الكوراني من الكويت، والشهيد محمد باقر الحكيم من النجف الأشرف، والسيد محمد علي الشيرازي من مشهد، والشيخ عيسى الخاقاني من قطر.

وبين يديّ تقريران عن نشاطات مكتبة الرسول الأعظم ﷺ العامة نشرتها مجلة الوعي أرى من المناسب ذكرها للتوثيق:

يسر مكتبة الرسول الأعظم ﷺ العامة مع إطلالة هذا العام الجديد أن تعرض تقريراً موجزاً عن نشاطاتها خلال السنة المنصرمة ١٣٩٧هـ:

أولاً: النشاطات الثقافية الإسلامية

٩. اللجنة الأدبية: نظراً لضرورة وجود أقلام عمانية جديرة وشابة في مضمار الأدب والثقافة الدينية، لتعرض مبادئ دينها بصورة

تلائم روح هذا العصر الذي أصبحت فيه كل المبادئ تنشر أفكارها بلغة مفهومة لهذا العصر، فقد قامت المكتبة بعمل لجنة مكونة من (١٥) شاباً لكي يتدربوا على الكتابة طوال العطلة الصيفية، وكان نتاجها كتباً ألّفوها، طبع منها كتاب واحد والباقي في طريقه إلى الطبع.

١٠. نشرة الوعي: إيماناً من المكتبة في تشجيع أقلام هؤلاء الشباب، وشباب آخرين، لكي يصبحوا كتّاباً وأدباء يرفعون شأن دينهم ووطنهم، فقد قامت المكتبة بإصدار نشرة باسم (الوعي) تنشر نتاجهم وكتاباتهم وتدفعهم على الاستمرار في التأليف وهذا أول عدد منها بين يدي القراء.

١١. مدرسة القرآن الكريم: لقد نظمت المكتبة دورة طوال شهر رمضان لتعليم تلاوة القرآن الكريم وتجويده يقيناً منها بضرورة الاهتمام بالدستور الإلهي القويم.

١٢. تعليم الأطفال: إيماناً من المكتبة بضرورة الاهتمام بالأطفال وتنشئتهم منذ صغرهم تنشئة دينية، فقد وضعت دروساً خاصة بهم طوال العطلة الصيفية.

١٣. الاحتفالات الدينية: انطلاقاً من ضرورة إحياء المناسبات الدينية وتعظيم رجالات الدين، والتعرف على مبادئهم وصفحات جهادهم، فقد قامت المكتبة بإحياء ثلاث حفلات في ثلاث مناسبات، وهي ميلاد الامام علي عليه السلام يوم ١٣ رجب، ومناسبة الإسراء والمعراج يوم ٢٧ رجب، وميلاد الإمام المهدي عليه السلام.

١٤. الندوات والمسابقات الثقافية: لقد قامت المكتبة بعقد ندوات ومسابقات ثقافية تضمنت (سين وجيم) الذي يلقى تأييداً وتجاوباً -من الشباب- كبيرين، فقامت بتطوير مستوى هذه الندوة حتى أصبحت جدية باهتمام الكثيرين، ويا حبذا لو تقوم وزارة الإعلام بالاطلاع عليها لعرضها في التلفزيون، كما قامت

المكتبة بعقد حلقات من برنامج (مسابقة أحسن مقال) ولقد وضعت جوائز رمزية لها.

١٥. طبع الكتب الإسلامية: إضافة إلى ما توفره المكتبة من كتب للمطالعة في مقرها، فقد بادرت بطبع بعض الكتب المفيدة وتوزيعها في المناسبات بلغت خمسة كتب، وهي:

- كتاب (الحسين ومسؤولية الثورة) وزِّع في مناسبات عاشوراء.
- كتاب (الإمام علي ضمير الأمة) وزِّع في احتفال ميلاد الإمام علي.
- كتاب (الوليد الثائر الإمام الحسين بن علي) وزِّع بمناسبة ميلاد الإمام الحسين يوم ٣ شعبان.
- كتاب (الموسم الثقافي في رمضان) وهو عبارة عن مجموعة من مقالات عن المناسبات والأحداث التي تمر خلال شهر رمضان، من غزوة بدر واستشهاد الإمام علي عليه السلام وليلة القدر وغيرها من الأحداث، ولقد وزِّع في شهر رمضان.
- كتاب (أئمة أهل البيت رسالة وجهاد) في طريقه للتوزيع.

إضافة إلى كل ذلك، فلقد ساعدت المكتبة في نشر كتب أخرى وتوزيعها أو المساهمة في طبعها، كما قامت بتوفير أكثر من (٢٠٠) كتاب للمطالعة، مع توفير بعض المجلات المحلية والعربية، والمكتبة مهيئة من جميع النواحي لاستقبال الأخوة القراء وتوفير الكتب المفيدة للمطالعة لهم، سعياً منها في سبيل خدمة الجميع، فهي منكم وإليكم.

النشاط الاجتماعي

١٦. التبرع بالدم: إيماناً من المكتبة بضرورة مساعدة الأخوة المسلمين المحتاجين فلقد استغلت مناسبة عاشوراء لكي يتقدم مجموعة من شبابها للتبرع بالدم للمرضى المحتاجين، باسم الحسين في مستشفى النهضة، وقد بعثت وزارة الصحة رسالة شكر للمكتبة، أذيعت في نشرة الأخبار المحلية للإذاعة

العمانية يوم الثلاثاء ١٩٧٧/١/١٨م.

١٧. الاحتفاء بالعلماء ورجالات الفكر: إيماناً من المكتبة بضرورة تقدير العلماء ورجالات الفكر الذين يزورون السلطنة، والاحتفاء بهم، فلقد قامت المكتبة بتوجيه الدعوة إلى العلامة السيد هادي المدرسي لإلقاء محاضرتين في معهد الدراسات الإسلامية، ونادي عمان، وقد استغل التلفزيون العماني الملون هذه الفرصة، وبادر بتسجيل أحاديث أذيعت على مدى شهر رمضان المبارك، وقد لاقت هذه الخطوة من المكتبة الكثير من الاستحسان.

ومع إطلالة هذه السنة الجديدة، سنة ١٣٩٨هـ، تتطلع المكتبة بالمضي قدماً نحو الأمام حيث وضعت لها خطة أوسع من العام الماضي، لذا فالشيء الذي تعتمد عليه المكتبة هو التجاوب والدعم من المجتمع، ونحن نوجه إلى جميع الشباب الدعوة لمشاركتنا وزيارة المكتبة، وإبداء آرائهم، وأننا ننتظر رسائلهم المتضمنة اقتراحاتهم ومساهماتهم ونقدهم البنّاء [1].

قامت المكتبة خلال شهر محرم الحرام هذا العام ١٣٩٨هـ بنشاطات مختلفة بمناسبة ذكرى نهضة الإمام الحسين عليه السلام على غرار نشاطاتها في الأعوام السابقة وكانت نشاطاتها بالشكل التالي:

١٨. توزيع الكتب والنشرات الدينية: قامت المكتبة بطبع كتاب عاشوراء ملحمة البطولة والفداء لسماحة العلامة السيد محمد تقي المدرسي وزرعت منه (٤٠٠٠) نسخة ككتاب الموسم لهذه السنة. ووزعت أيضاً ملحقاً عن عاشوراء والإمام الحسين عليه السلام.

١٩. المسيرة الحسينية: وكالمعتاد في السنوات السابقة فلقد هيأت المكتبة مسيرة دينية مساء يوم عاشوراء تخليداً لذكرى سيد الشهداء وتبجيلاً لموقفه التاريخي العظيم. وانطلقت المسيرة من أمام مسجد الكورنيش إلى مسجد جبروه بحوالي أكثر من ١٠٠٠

(١) نشرة الوعي الإسلامية، العدد الأول غرة محرم الحرام ١٣٩٨هـ، ص٢٠-٢٢.

مسلم وكلهم يرددون أبياتًا ونداءات في حث المسلمين للالتزام بأحكام دينهم الإسلامي الحنيف والاقتداء بالشهداء والصالحين والأئمة الميامين.

٢٠. أحيت المكتبة ليلة ١٤ محرم بحفل تأبيني للإمام الحسين عليه السلام في مسجد الكورنيش حيث وجهت دعوات الحضور إلى المسؤولين وكبار رجالات الدولة وإلى جمع غفير من المواطنين الكرام، وكان من بين الحاضرين وزير العدل ومعالي وزير الداخلية وعدد كبير من المسؤولين والسفراء وقدر عددهم بين (١٠٠٠ - ١٥٠٠).

وكان الاحتفال ضخماً ورائعاً بحق فلقد شارك في إحيائه أجلّة العلماء، مثل السيد هادي المدرسي والشيخ علي الكوراني اللذين استدعتهما المكتبة من الخارج للمشاركة في إحياء الحفل، كما كان الشيخ عبدالله بن علي الخليلي من ضمن المشاركين في الاحتفال أيضاً، وتعذّر سعادة مفتي عام السلطنة للمشاركة بسبب ظرف طارئ حال دون حضوره.

فرقة إنشادية

ولقد لاقت هذه النشاطات وأخرى أمثالها على مستوى النشاطات الداخلية والشبيبة الإسلامية لاقت التأييد والاستحسان من قبل الناس حيث عدّوها فرصاً لاكتساب وزيادة المعرفة بالدين الإسلامي الحنيف، وممارسات للشعائر الدينية.

والمكتبة بدورها تشكر الجميع حيث إن تعاونهم والتفافهم حولها وحول نشاطاتها هو الأساس في نجاحها في مهمة الإصلاح ونشر الثقافة والوعي الديني)[1].

وأشير أخيراً إلى أني حين عزمت على الاستقرار في بلدي القطيف طلبت

(١) نشرة الوعي الإسلامية، العدد الثاني صفر١٣٩٨هـ، ص٨-٩.

من سماحة الشيخ كاظم السباعي أحد الأساتذة في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ بالكويت، وهو عالم وخطيب ومؤلف وذو خلق رفيع، أن يأتي إلى مسقط ويبقى لمواصلة إدارة العمل الثقافي والاجتماعي، وجاء إلى مسقط قبل مغادرتي، وتزوج بكريمة إحدى العوائل اللواتية، وأقام لمدة سنتين مشرفاً على المكتبة، وموجهاً لأنشطة الشباب، ثم انتقل إلى إيران، ومنها هاجر إلى نيوزلندا، حيث لا يزال هناك قائماً بمهامه الدينية.

وفي ذاكرتي كثير من الصور والمشاهد الرائعة عن تلك الأيام الجميلة التي قضيتها في سلطنة عمان، أرجو أن أجد الفرصة المناسبة للكتابة عنها في المستقبل إن شاء الله تعالى.

الشيخ كاظم السباعي

مُحاولات
فِي نَظم الشِّعر

كان لي في العقد الثاني من عمري محاولات في النظم لا ترقى إلى مستوى الشعر، لكني قصّرت في تنمية هذا الاستعداد الأدبي في نفسي، وتكاسلت عن متابعة المحاولات وتطوير الموهبة.

وكجزء من ذكريات تلك المرحلة من العمر أسجل هنا ما احتفظت به من تلك المقطوعات إضافة إلى القصائد التي ورد ذكرها في الصفحات السابقة.

يا حسين الخلود[1]

يـا حسـينَ الخلـودِ هـي القوافـي
باكيـاتٌ ترثيـك يـا بـن النبـيِّ
وتُنـادي بنهضـةٍ أحييـت الدّيـ
ـنَ ودكّـت عُـروشَ آلِ أُمـيّ
حيـث شـادوا الضـلالَ في كلِّ فـجٍ
وأباحـوا لـكلِ فسـقٍ وغـيِّ
فغـدا الديـنُ منهـمُ في انكسـارٍ
ليـسَ إلا الحسـينُ شـبلُ علـيِّ
فتفـاداه بالبنيـنِ وبـالأه
ـل وضحّـى بـكلِ طُهـرٍ زكـيِّ
فتـرى للشـبابِ بسـمةَ ثغـرٍ
بيـنَ سُـمرِ القنـا وعطـفِ القسـيِّ
وإذا بالحسـينِ يبـدو صريعًـا
بينهـم عافـرًا كبـدرٍ مضـيِّ
وبذبـحِ الحسـينِ قـد شُـيّدَ الديـ
ـنُ وأُرسـي عـلى أسـاسٍ قـويِّ
ولَدَيْنَـا الأعـوادُ تشـهدُ بالنّصـ
ـرِ ومـا حـازَهُ سـليلُ الوصـيِّ

(١) تقريض للجزء الثاني من ديوان (لوعة الحزين في مراثي آل ياسين) للملا عبدالمحسن النصر نشر في طبعته الأولى ١٩٧٤م، مطبعة الغري، النجف الأشرف.

وأتــت (لوعــةُ الحزيــنِ) تُعــزّي الـ
ـــمصطفى بابنــه بشــعرٍ شــجيِّ
قافيــاتٌ يزفهــا البلبــلُ الغــر
يــدُ في الخــطِّ ذو المحيّــا البهــيِّ
كــم بهــا مــن عــلى المنابــرِ غنّــى
وتلاهــا بصوتِــه الجهــوريِّ
فــإذا مــا شــدا بهــا انهلّــت العيـ
ـــنُ بدمــعٍ مــن المحــبِّ ســخيِّ
وهــي ليســت بحاجــةٍ لثنائــي
إذ سَــمت فــوقَ مــدحِ كلِّ صفــيِّ
لا ولا مــن يقودُهــا وهــو شــمـ
ـــسٌ أشــرقت في شُــعاعِها الذهبــيِّ
فهــو في النــاسِ مصلــحٌ وخطيــبٌ
عرفــوهُ بالشــاعرِ العبقــريِّ
فلتــدمْ أيهــا الخطيــبُ بخيــرٍ
وبعيــشٍ مــن الهــوانِ نقــيِّ
وســلامٌ عليــكَ مــا غــرّدتِ
الطيــرُ فــوقَ غُصــنٍ نــديِّ

بتاريخ ١٣٩٣/١/٢٣هـ

تأبين المرجع الديني
السيد محمود الشاهرودي[1]

حفـر الحـادث الأليـم بقلبـي
خنـدق الحـزن والأسـى والكآبـة
وغشـانا الظـلام حيـث أظلتنـا
مـن الحـزن والرزايـا سـحابة
فأخـذت اليـراع أسـتعطف الشـعر
إذا باليـراع يأبـى الكتابـة
وإذا القافيـات تهـرب منـي
وهـي قـد عودتنـي الاسـتجابة

*****

أيهـا الراحـل العظيـم وداعـاً
مـن قلـوب أذابهـا الاشـتياق
إن يكـن جسـمك الشـريف حوتـه
بافتخـار أرض المعالـي العـراق
في قلـوب الجميـع حبـك يبقـى
أبـد الدهـر مـا عليـه خـلاق
ونفـوس تاقـت للقيـاك أضحـت
باكتئـاب يمضّهـا الافتـراق

*****

(١) توفي في النجف الأشرف ١٧ شعبان ١٣٩٤هـ (١٣٠١هـ- ١٣٩٤هـ).

أيهـا الحاملـون نعـش المعالـي
أسـرعوا فالنبـي في الانتظـار
وعلـي وفاطـم وبنوهـم
وجميـع الأئمـة الأطهـار
ومـلاك السـما هـا هـم صفـوف
يحملـون الزهـو باستبشـار
ويجـيء الفقيـد في موكـب المجـد
وقـد حُـفّ بالعـلا والوقـار

*****

طوفـوا النعـش حـول قبـر حسـين
فحسـين بموتـه مفجـوع
كل يـوم يـرزا بفقـد عزيـز
كل يـوم يأتيـه خطـب مـروع
ليـس هـذا عـلى الحسـين جديـداً
بعـد أن يذبـح الوليـد الرضيـع
طوفـوه وطوفـوه مـراراً
فلـه والحسـين شـأن رفيـع

*****

كان يأتـي مشـياً يـزور حسـيناً
وهـو يـدري مـا قـدر تلـك الزيـارة
عمـره باعـه عـلى اللـهِ واللـهُ
اشـتراه منـه فنعـم التجـارة

كـم تلقـى مذلـة وهوانـاً
كلكـم تعرفـون تكفـي الإشـارة[1]
وفجعنـا بـه بيـوم عصيـب
وخطيـر فيـا لهـا مـن خسـارة

*****

إن تاريخنـا سـجل بطـولات
ملـيء بالعلـم والتضحيـات
وحيـاة الفقيـد صفحـة مجـدٍ
كُتبـت عبـر هـذه السـنوات
فعلينـا بـأن نسـير عـلى الخـط
بحـزم ويقظـة وثبـات
ليـس خـط الهـدى حديقـة وردٍ
بـل ملـيءٌ بالشـوك والعقبـات

*****

أيهـا الراحـل العظيـم ليُهنِيـك
جـوار العـلى بـدار الخلـود
أبلـغ المصطفـى السـلام وقـل يـا
منقـذ الخلـق يـا زعيـم الوجـود
أمـة الحـزم والجهـاد أُصيبـت
وهـي اليـوم في سُـبْات الجمـود

.....

(1) إشارة إلى ما عاناه وبقية المراجع في النجف الأشرف من إساءات سلطة البعث في العراق.

أُحرق القدس واستُبيحت فلسطين
وصـارت مسـتعمرات اليهـود

*****

قـل لـه المسـلمون قـد وزعوهـم
جـزراً ليـس بينهـم مـن جسـور
وأقامـوا بـكل أرض كيانـاً
مسـتقلاً ودولـة بأميـر
وعـلى كل آيـة مذهـب صـار
ويرمـى سـواه بالتكفيـر
قـل لـه شـاعت الرذيلـة فيهـم
مـن فسـاد ورشـوة وخمـور

*****

والتفافاً حـول المراجـع يـا شـعب
ولا تخدعنـك الأحـزاب
كل شـيء لـه طريـق وبـاب
ولديـن الهـدى المراجـع بـاب
ذاك تأريخهـم كفيـل بـأن
يثبـت منهاجهـم هـدًى وصـواب
وإذا مـا شـئنا قيـادةَ زورٍ
فعلينـا إذًا يحـلُّ العـذاب

*****

أيهـا السـيد الجليـل[1] عـزاءً
لـك في اللـه بالمصـاب الأليـم
ولنـا فيـك سـلوةٌ وعـزاءٌ
وإمـامٌ عـلى الطريـق القويـم
قـد عرفنـاك بالصمـود وبالصبـر
فـلا تنحنـي لـرزء عظيـم
واحتضـن مشـعل الهدايـة وار
فعـه نسِـرْ فـوق خطـك المسـتقيم

١٣٩٤هـ

(١) خطاب للمرجع السيد محمد الشيرازي راعي حفل التأبين في الكويت الذي ألقيت فيه القصيدة.

موسوعة دلائل الأحكام[1]

إنَّهـا (الخَـطُّ) منبـعُ الإلهـامِ
كـم معـالٍ أملـتْ عـلى الأيـامِ
كلُّ مـا حولهـا ظـلامٌ.. ولكـنْ
هـيَ كالبـدرِ في سـماءِ ظـلام
رأتِ الحـقَّ في رحـابِ علـيٍّ
ورأتْ في الوصـيِ خيـرَ إمـام
فاسـتمرّت بهديـهِ تقطـعُ الـدَّر
بَ برغـمِ الأشـواكِ والألغـام
وبَنَـتْ حـوزةً هـيَ (النجـفُ الصُّغـ
ـرى) تُسـمى بِسـالفِ الأعـوام
وبهـا الشـعرُ كـم تفجَّـرَ ينبـو
عًـا لـدى قلـبِ شـاعرٍ مِقـدام
ولَكَـمْ أثـرتِ الثقافـةَ والعلـ
ـمَ بإنتـاجِ أروعِ الأقـلام
ليسَ تنسى (القطيفُ) عهدَ ازدهارٍ
عاصرتـهُ بنشـوةٍ وانسـجام
رَفرفَ الحـبُّ في سَماها وصارَ الطّـ
ـيرُ يشـدو بأعـذبِ الأنغـام

(١) تقريض لموسوعة (دلائل الأحكام، في الفقه الاستدلالي)/ الجزء ٦، للإمام الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي، مطبعة الآداب ،النجف الأشرف الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

سـعفاتُ النخيـلِ ترقـصُ شـوقًا
وهديـرُ الميـاهِ صـوتُ غَـرام
وتـرى النـاسَ بينَهـم عشـشَ
الـوُدُّ فـكلٌّ يلقـاك بالابتسـام

*****

ذاكَ عصـرٌ بـهِ (القطيـفُ) تَسـامتْ
في ظـلالِ المراجـعِ الأعـلام
كـ(الخنيـزيِّ) مَـنْ لـهُ سـبَّحَ الفِكـ
ـرُ اعترافًـا بِمـا لَـهُ مِـن مقـام
فلقـد تـوّجَ القضـاءَ بعـدلٍ
جُسّـدت فيـهِ شِـرعةُ الإسـلام
كان والعلـمَ في عنـاقٍ طويـلٍ
مسـتمرٍ لـو لا اعتـداءُ الحِمـام
وإليـهِ اليَـراعُ يعنـو مطيعًـا
فتـراهُ في كفِّـهِ كالحُسـام
ينصـرُ الحـقَّ في صحائـف نـورٍ
تتحـدَّى نسـائجَ الأوهـام
فلَـهُ في (المناظراتِ)[1]جهـادٌ
وجهـودٌ في (دعـوةٍ)[2] للوئـام
وأتتنـا (موسـوعةُ الفقـهِ) تتلـو
بوضـوحٍ: (دلائـلَ الأحـكام)

.....

(١)إشارة إلى كتابه المناظرات.

(٢)إشارة إلى كتابه (الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية).

عانـقَ العمـقُ للبسـاطةِ فيهـا
وتـوارى الإيجـازُ في الإلمـام
حجبتهـا السـنينُ حتـى تجلّـت
مثـلَ شمسٍ تُميـطُ سُحبَ القتـام
بجهـودِ الغيـورِ مفخـرةِ الخَـطِّ
ومَـنْ خَـطَّ صفحـةَ الإقـدام
ذاك (عبدُاللـهِ)[1] الـذي نصـرَ الـ
ـحقَّ بِرغْـمِ السـجونِ والآلام[2]
وَليَطـبْ للإمـامِ في الخُلـدِ عيـشٌ
فبنـوهُ يُحيونَـهُ للأنـام
ليـسَ محرابُـهُ يُعانـي فراغًـا
ذاكَ (عبدُالحميـدِ)[3] خيـرُ إمـام
وبعـرشِ القضـاءِ يحكـمُ عـدلًا
كأبيـهِ في سـالفِ الأيـام
ولـهُ القافيـاتُ تنقـادُ فخـرًا
إنْ دعاهـا لبّـتْ بـكلِّ احتـرام
ويـراعُ الفقيـدِ مـا جـفَّ يومًـا
بـل تنامـى لـدى بنيـهِ الكـرام
يـا ربُـوعَ القطيـفِ هـل تسـتعيدي
عصـرَ مجـدٍ قـد صـارَ في الأحـلام؟!

.....

(١)نجل المؤلف محقق الموسوعة الشيخ عبدالله الخنيزي.

(٢) إشارة إلى ما عاناه عند إصدار كتابه (أبو طالب مؤمن قريش).

(٣)نجل المؤلف العلامة الشيخ عبدالحميد الخطي قاضي محكمة الأوقاف والمواريث.

أيقظـي شـعبَكِ العظيـمَ بعُنـفٍ
فالمعالـي لا تُرتجـى في المنـام

ذكّريـهِ: يـا شـعبُ! أنـتَ امتـدادٌ
لعلـيٍ وآلـهِ الأقـرام

كنـتَ تُدعـى بالرافضـيِّ!، وطبـعٌ
فيـكَ: رفـضُ الضّـلالِ والإرغـام

ذكرّيـهِ فدينُـهُ ليـسَ يرضـى
بجمـودٍ وذلَّـةٍ واهتضـام

ويُنـادي: الأعلـونَ أنتـم.. وإلا
فلكـم في القبـورِ خيـرُ مقـام

بتاريخ ١٣٩٥هـ

يا حياة الزهراء أنت كتاب[1]

روعــة الحــق والعفــاف تجلّــت
مــن محيــا الصديقــة الزهــراء
بضعــة المصطفــى وزوج علــيٍّ
وهــي أم الأئمـــــة الأمنـــــاء
وعــلى صدرهــا وســامات مجــدٍ
مــن أبيهــا لكــن بأمــر الســماء
فاطــمٌ بضعتــي ويرضــى لهــا اللــه
ويُــردي مــن نالهــا بــأذاء
هــي ســت النســاء في كل عصــر
لا عــلا مريــم ولا حــواء
فاطــمٌ مــن أحبهــا يفطــم اللــه
مــن النــار والعنــا والشــقاء
ليــس يعنــي بــذا مجــرد حــب
إنمــا الحــب سُــلّم الاقتــداء

*****

نبتــت في ربــى الكفــاح فمــا مــرت
عليهـــــا دقيقـــــة برخـــــاء

.....

(١) ألقيت في حفل ميلاد الزهراء عليها السلام في مسجد ابنيد القار بالكويت ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ

فتحت عينها على مشهد الوحي
كذا سمعها بنطق السماء
وترى الوالد الحنون يعاني
من أذى قومه أشدّ العناء
ألِفت نفسُها الجهادَ فصار
الحق منها يجري بمجرى الدماء
ولهذا قامت بأعظم دورٍ
تنشر الوعي في صفوف النساء
تصحب الجيش في المعارك تسقي
للعطاشى ببارد من ماء
لم تزل تخدم الشريعة حتى
خطف الموتُ خاتم الأنبياء
فاجؤوها بالانقلاب وولوا
أمرهم غير سيد الأوصياء
حملت راية الجهاد إلى المسجد
تدعو بمحضر الخلفاء
أنذرتهم بأنهم بدأوا السير
بعنفٍ على طريق الشقاء
يا حياة الزهراء أنت كتابٌ
كل حرف فيه مشع ضياء
كل سطر منه طريق نضال
للمعالي من دون أيّ التواء

يـا ابنـة المصطفى الصراع طويـل
بيـن خـط الهـدى ودرب الشـقاء
لـم نـزل في العـذاب مـن غيـر ذنـبٍ
غيـر أنـا مـن شـيعة الزهـراء
ذاك لبنـان والكتائـب فيـه
صبغـوا الأرض مـن دم الأبريـاء
كلهـم مـن بنيـك يـا نبتـة الحـق
وتدريـن قيمـة الأبنـاء
مسجد اللـه ما حماهم من النار
ولـم يسـلموا مـن الاعتـداء
يـا حفيـد الزهـراء يـا أيها الصدر[1]
تحمـل أمانـة الشـهداء
حسـبوكم إذ في الجنـوب صمدتـم
أنكـم مـن معاشـر الجبنـاء
ليتنـي في بيـروت أعتصـم اليـوم
مـع الصـدر قائـد الشـرفاء[2]
قـد رأى الاعتصـام خيـر سـلاح
مضربـاً عـن طعامهـم والمـاء
ثـورة الصـدر علمتنـا حديثـاً
عزّنـا في قيـادة العلمـاء

١٣٩٥/٥/١٣هـ

(١)الإمام السيد موسى الصدر.

(٢) احتجاجًا على استمرار الحرب الأهلية بدأ الإمام موسى الصدر في ٢٧ يونيو ١٩٧٥م اعتصامًا في مسجد العاملية - بيروت متعبدًا صائمًا وأنهاه بعد ٥ أيام.

شباب بغير قضية

يمـلأ العيـن قـوة ونشـاطاً
وشـباباً يفيـض بالحيويـة
يتخطـى مراحـل الـدرس قفـزاً
بيديـه شـهادة جامعيـة
وإذا مـا بدأتـه بحديـثٍ
فسـيبدي ثقافـة عالميـة
كل شـيء فيـه جميـل ولكـن
عيبـه أنـه بغيـر قضيـة

مسقط/ شوال ١٣٩٥هـ

وأتت ذكرى الشهيد

١

بدأ العام الجديد

وأتت ذكرى الشهيد

تتهادى فوق أكتاف السنين

صارعت كل ليالي الظلم والجور

تخطت سحب البغي

تحدت عاصفات الزيف

دكت ثكنات الظالمين

٢

وأتت ذكرى الشهيد

تفتح العام الجديد

وبعنف تملأ الكون هتافاً

ها أنا جئت بعزم من حديد

ليس تبليني متاهات الزمن

وفتاوى من شيوخ الزيف والتضليل

عباد الوثن

سوف أبقى مشعلاً للرافضين

منطق الحق

بوجه الظالمين

مقبض السيف لزند العاملين

نغم الأحرار في كهف السجون

لست أخشى

كل ما في الأرض يفنى وستبقى دعوة الحق شعار الثائرين

٣

وأتت ذكرى الشهيد

لترانا كيف نحن؟؟

أو ما زلنا عبيد؟!

أو ما زلنا نرى الثورة شقاً للعصا

ونرى الصبر على الضيم ثواباً وتقى

ونرى الطغيان والظلم لزاماً وقضا

ونرى الثورة عارًا وضلالًا وشقى

وبأن الشرع فتوى من شريح

وخطاب من زياد

وصلاة من يزيد

وبنفس الوقت نبكي للحسين

وبعاشوراء نهتم بإعلان العزاء!!

أوما نخجل من يوم الشهيد

أوما نخجل من راس الشهيد

حينما ينظرنا

نقبع في زنزانة الذل

على باب يزيد!!

سلطنة عمان - مسقط - محرم ١٣٩٦هـ.

أنموذج من معالجة الفقر

في بلادي حيث يحيا الناس آلاف المآسي

ويسيرون مع التاريخ في سير انعكاس

تجد الحكام لا يشغلهم شيء

سوى حفظ الكراسي

والجماهير تعاني الفقر لا تسعفهم آبار نفط دافقات

والملايين من الشعب يعيشون شقاء الكوخ

ما زالوا وبؤس الجبرات!!

وألوف يسألون الناس في الشارع خبزًا

وبأبواب المساجد

ويعيشون على ذلٍّ عطاء الصدقات.

مرة شاهدت أطفالاً وأماً جلسوا في ناحية

لعب البؤس بهم كالغصن إذ تأتيه ريحٌ عاتية

فعيونٌ غائراتٌ وبطونٌ خاوية

ووجوهٌ شاحباتُ اللونِ تحكي عن حياة قاسية

وجسومٌ تطلب السترَ عن الأنظارِ

لكن لم تجدْ إلا ثياباً بالية

يترامون على الأمِّ يريدون طعاماً

غير أن الأم لا تملك إلا قبلاتٍ حانية

وتسليهم بتزييف ابتسام.. وهي في الواقع تغدو باكية

إصبروا قالت: فقد يأتي كريم يطلب الأجر من الله بدار باقية

ويمرُّ الناسُ فالمشهدُ مألوفٌ ولا يجلب إلّا النظراتِ الزارية

وأتت تزحف شمس الصيف..

تكوي الزهرات العارية

فهي والذلُ مع الجوعِ مع العُريِّ

يشنّون على عائلةِ البؤسِ حروباً طاغية!!

وأخيراً وصلت سيارة النجدةِ

والشرطة جاؤوا يركضون

بسياط العنفِ متنَ الأمِّ والأيتامِ

راحوا يضربون

نهروا الأمَّ: أما تدرينَ في أرصفة الشارع ممنوع عليكم تجلسون

فهنا السُيّاحُ والأجنابُ يأتونَ وعنكم يعرفون

صورةً شوهاء عن الدولةِ تُعطونهمُ ما تخجلون!!

فأجابت أمهم: مهلاً أنا لم أعلمِ الأمرَ فهلّا تعذرون

قبلت أيديهم حتى عن الجرم الذي لم تقترفه يسمحون!!

مسقط ٣/٧/١٣٩٦هـ

مرت الأربعون والخطّ ثكلى

بمناسبة أربعين المرحوم الشيخ فرج العمران (قدس سره).

صدمــة وجهــت لنــا الأقــدار
فخضوعًــا فربنــا القهــار
ليــس نبــدي مــن القضــاء اســتياءً
إنــه اللــه عنــده الأســرار
لكن القلب خاشع وعيون الشعـ
ـــب تبكــي ودمعهــا مــدرار
مــرت الأربعــون والخــطّ ثــكلى
وعليهــا مــن المصــاب دثــار
فشــواطي الخليــج مــوج عنيــفٌ
وســماء القطيــف فيهــا احمــرار
ونخيــل تعــودت رحــلات الشــيخ
للريــف شــابها الانكســار
لا أغالــي إن قلــت بعــدك يــا شــيخ:
ســتذوي وتذبــل الأزهــار
كان يســقي الأزهــار[1] منــك يــراعٌ
حطمتــه بعنفهــا الأقــدار

.....

(1)إشارة إلى كتابه (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية).

كنـت للمؤمنيـن روضًـا[1] نديًـا
وأنيقًـا[2] فاجتاحـه الإعصـار

*****

علمـاء الإسـلام هبّـوا بعـزمٍ
قـد أحاطـت بديننـا الأخطـار
مزقتنـا معسـكرات الأعـادي
فيميـن هـذا وهـذا يسـار
وانحراف الشباب عن خطة الدين
نتـاج لضعفنـا وثمـار
فعِدانـا يخططـون بخبـث
والخلافـات صـارم بتـار
كلنـا مؤمنـون نعبـد ربًـا
واحـدًا لا تنالـه الأبصـار
أيهـا المسـلمون يكفـي نزاعـاً
فاختـلاف الآراء مـا فيـه عـار
إن قرآننـا ينـص صريحًـا
كل قـوم في فكرهـم أحـرار

*****

ياشـباب الإسـلام يـا أمـل الشـعب
وغصنًـا يلفّـه الاخضـرار

.....

(١)إشارة إلى كتابه (الروضة الندية).

(٢) إشارة إلى كتابه (الروض الأنيق).

إن يـك اليـوم عذركـم صغـر سـنٍّ
فغـدًا أنتـم الرجـال الكبـار
سـوف يمضي الجيل القديم رويدًا
كلـه أشـقياؤه والخيـار
وتكونـون في غـدٍ قـادة العصـر
فهـل فيكـم يصـح المسـار؟
يـا شـباب الإسـلام بالوعـي ردوا
شـبهات يبثهـا اسـتعمار
فشـعاراته مصائـد سـوءٍ
ليتكـم تعرفـون مـاذا الشـعار
فافهمـوا دينكـم وخلـوا الخرافـات
التـي ألحقـت بـه الأعصـار
إن في الديـن كلّ معنًـى نبيـلٍ
ليـس ترقـى لشـأوه الأفـكار
إن فيـه حريـةً وسـلاماً
ولديـه معـزّة وانتصـار
فألزمـوه وأعرضـوا عـن سـواه
إن فعلتـم فإنكـم أحـرار

*****

أيهـا الأثريـاء بالمـال جـودوا
فاكتنـاز الأمـوال في الحشـر نـار
ليس تكفي الـزكاة والخمس منكم
ولديكـم عـلى العطـاء اقتـدار

إن في مالكم لمعلوم حق
هكذا الله قال يا تجار
كيف قام الإسلام لولا عطاءٌ
من خديجٍ وحيدرٌ كرار

*****

وانعطافاً نحو الفقيد ففيه
مكرمات تروى وذكرى تثار
كان ملجأً للمعوزين لمال
أو لعلم فبحره موّار
هكذا العلم خدمة لا ابتزازٌ
وحنانٌ بالناس لا استكبار
هاجمته الأحداث من كل صوب
وهو كالطود ما عراه انهيار
عاش للعلم والفضيلة فينا
وطواه الردى فذاك الخسار
قد خسرناه وهو في الخلد يحظى
بنعيم تحوطه الأبرار
ولنا خلّف الحسين[1] عزاءً
وهو للعلم مشعل ومنار
ثم أبناؤه الكرام وفيهم
كم أديب تعنوا له الأشعار

.....

(١) ابنه العلاَّمة الشيخ حسين العمران.

سـيعيد الفقيـدَ فينـا حسـينٌ
ولديـه كفـاءة واقتـدار
آزروه وشـجعوه عـلى العلـ
ـم ففـي الخـط للهـداة افتقـار
ربّ واحفـظ ذوي الفضيلـة فينـا
فهـمُ في سـمائنا الأقمـار
كأبـي كامـلٍ[1] كـذاك ابـن يحيـى[2]
وعلـي[3] خطيبهـا المغـوار
أيهـا الحفـل أسـتميحك عفـوًا
إن بـدت سـقطة فكلـي اعتـذار
ولـروح الفقيـد ألـفُ سـلامٍ
وثنـاءٌ مـا غـردت أطيـار

١٣٩٨هـ

(١) العلامة الشيخ عبدالحميد الخطي.
(٢) العلامة الشيخ علي بن يحيى التاروتي.
(٣) العلامة الشيخ علي المرهون.

يا سليل المجد

في رثاء الشهيد السيد حسن الشيرازي الذي اغتيل في بيروت بتاريخ ٢ مايو ١٩٨٠م.

يـا سـليلَ المجـدِ قُلِّـدْتَ الشِّـهادَةْ
فَهَنِيئًـا لَـكَ فِي أَحْـلَى قِـلادَةْ
دَمُـكَ الزَّاكـي سَـيُضْحِي لَهَبـاً
يُحْـرِقُ البَعْـثَ وَيَجْتَـثُّ فَسـادَهْ
هَـل يُرِيـدُ البَعْـثُ أنْ يُرْهِبنَـا
إنْمَـا القَتْـلُ لأهـلِ البَيـتِ عَـادهْ
عِشـتَ فِي الآلامِ عُمْـرَاً كَامِـلاً
تَفْضَـحُ الباطـلَ مِـنْ دُونِ هَـوادَهْ
فبـأرضِ الطَّـفِّ كَـمْ مِـنْ وَقفـةٍ
وَسُـجُونُ الظُّلْـمِ كَـمْ فِيهَـا شَـهادَهْ
عِشْـتَ فِينَـا مِثـلَ طَيْـفٍ عَابِـرٍ
قَـدْ غَـدَا صَاحبُـهُ يَنْعَـى افْتِقَـادَهْ
لَـنْ نَهـابَ المـوتَ إنَّـا أُمَّـةٌ
دِينُهَـا يَعْتَبِـرُ الحَـربَ عِبَـادَهْ
يَـا رَصـاصَ الغَـدْرِ رَوَّعْـتَ الهُـدَى
وولـيُّ العصـرِ جَرَّحْـتَ فُـؤادَهْ
مَصـرعٌ آلَـمَ آلَ المُصْطَفَـى
وعليـهِ أَعلـنَ الدِّيـنُ حِـدَادَهْ